iLovePDF

وطن
يشبه عينيك
وعدٌ على الخنصر...
أقوي من الخرب.
تأليف
ديما نايف الخليل

iLovePDF

# وطن يشبه عينيك

ديما نايف الخليل

iLovePDF

حقوق النشر

عنوان الرواية: وطن يشبه عينيك

المؤلفة: ديما نايف الخليل

الطبعة الأولى – ٢٠٢٦م

© جميع الحقوق محفوظة للمؤلفة.

صدر هذا العمل بعد الحصول على موافقة وزارة الإعلام في الجمهورية العربية السورية، بموجب الموافقة رقم (١٧٩٥٤)، بتاريخ ٢٠٢٦/٧/٨م.

هذا العمل محمي بموجب قوانين حماية حقوق المؤلف والحقوق المجاورة والملكية الفكرية. ويُحظر نسخ هذا العمل أو إعادة إنتاجه أو نشره أو توزيعه أو ترجمته أو استغلاله بأي وسيلة كانت، كليًا أو جزئيًا، دون إذن خطي مسبق من المؤلفة، باستثناء الاقتباسات القصيرة لأغراض النقد أو الدراسة مع الإشارة إلى المصدر.

كل من يخالف ما ورد أعلاه يُعرِّض نفسه للمساءلة القانونية وفقًا لأحكام القوانين النافذة.

© ٢٠٢٦ ديما نايف الخليل. جميع الحقوق محفوظة.

iLovePDF

# المقدمة

نحن لا نلتقي دائمًا بمن نحبهّم في الأوقات المناسبة ...

أحياناً يأتي الحب في أكثر مراحل العمر خرابًا، حين تكون أرواحنا متعبة، وقلوبنا مثقلة بما يكفي لتخاف التعلّق بأي أحد .

لكن رغم ذلك... يحدث .

كأن الله، وسط هذا العالم القاسي، يترك لكل روح شخصًا واحدًا فقط،

يشبه الطمأنينة التي كانت تبحث عنها طوال حياتها.

وهكذا بدأت الحكاية

لا بين عاشقيَن كاملَين، بل بين قلبين أنهكتهما الحياة، فحاولا الاحتماء ببعضهما من حربٍ كانت تلتهم كل شيء. في مدينةٍ اعتادت الوداع، كان الحب يبدو فعلًً خطيرًا. لأن الذين يحبّّون هناك، لا يخافون انكسار قلوبهم فقط... بل يخافون أن يستيقظوا ذات صباح ويجدوا أن الحرب سرقت الشخص الذي صار يشبه وطنهم كله.

هذه الرواية ليست عن الحرب وحدها،

ولا عن الحب وحده .

بل عن تلك المسافة المؤلمة بينهما...

حين يصبح العناق نجاة، والرسائل وطناً والانتظار شكلًً آخر من أشكال الصمود .

وربما، حين تصل إلى الصفحة الأخيرة، ستدرك أن بعض الأشخاص لا نحبّهّم لأنهم يشبهون الحياة...

بل لأن الحياة من بعدهم، لا تعود تشبه أي شيء

iLovePDF

# الإهداء

إلى أولئك

الذين سرقت منهم الحرب أشخاصاً، لكنها لم تسطتع أن تنتزع الحب من قلوبهم

وإلى الأرواح التي مازالت تؤمن أن بعض الوعود أقوى من الغياب

iLovePDF

القدس صباحٌ

مضطرب

إلى من سأكتب لها يومًا، وإن كنتُ لا أعرف ذلك الآن،

لم يبدأ هذا اليوم كغيره، بل دخل عليّ مرتبكًا، يطرق باب البيت قبل أن يكتمل الصباح. جاءني أحد الجيران مسرعًا، وعلى وجهه ما يكفي من القلق ليجعل قلبي يسبق سؤالي.

قال إن يامن في المشفى .

لا أذكر أنني سألته كيف، ولا متى، ولا ما الذي حدث. أذكر فقط أنني خرجتُ من البيت كما يخرج المرء من نفسه، مسرعًا، لا يحمل معه إلا خوفه

كانت الطرقات أطول من المعتاد، والناس أكثر بطئاً، والمدينة كلها تبدو كأنها لا تعلم أن أخًا لي يرقد بين الحياة والموت، وأنني أريد الوصول إليه قبل أن يسبقني شيء لا أستطيع رده.

حين بلغتُ المشفى، استقبلتني رائحة الدواء، وخطوات متعجلة، ووجوه أنهكها السهر. سألت عنه بصوت لم أعرفه، فأشاروا إليّ أن اهدأ، وقالوا إن حاله مستقرة

دخلتُ إليه، فرأيته شاحبًا، لكنه يبتسم ابتسامة ضعيفة كعادته حين يريد أن يطمئن من حوله أكثر مما يطمئن نفسه.

جلستُ قربه، ولم أقل شيئاً أول الأمر. اكتفيتُ بأن أنظر إليه طويلًً، كأنني أتحقق من وجوده، ثم وضعتُ يدي على كتفه، فضحك وقال إنني أبدو أكثر إصابة منه.

خرجتُ بعد قليل أبحث عمّن يستحق الشكر.

iLovePDF

دلوّني على الأطباء، فشكرتهم بما استطعت من كلمات، وكانت الكلمات أقل من امتناني. ثم قال أحدهم، وهو يشير إلى آخر الممر:

"إن أردت أن تعرف من كان له الفضل الأكبر، فاشكر تلك الممرضة ".

نظرتُ إلى حيث أشار.

كانت تقف قرب نافذة بعيدة، ترتب بعض الأدوات بهدوء، كأنها لا تعلم أن أحَدًا يذكرها الآن. في وجهها تعب واضح، وفي حركتها شيء من النظام الذي لا يحتاج إلى ضجيج.

حين رفعتُ بصرها إلي بدا وجهها كصفحة قمرٍ مستديرة صيغت بنعومة متقنة، لا زوايا حادة فيه ولا قسوة، بل انسجام هادئ يجعل النظر يستقر عليه دون تعب. عيناها بلون البندق الممزوج بظلّ العسل الداكن، واسعتان صافيتان، تتسعان كنافذتين تطُلَّن على عقل يقظ وسرٍ لا يفُصح عنه. في أطرافهما ذلك الميل الخفيف الذي يمنح النظرة حدّة رقيقة، كأنها سهم مغطّى بالحرير.

رموشها ليست طويلة على نحو مبالغ، لكنها مرتبة وكثيفة بما يكفي لتلقي ظلًّ خفيفًا فوق العينين، فيزداد بريقهما عمقًا. أما حاجباها فمقوسان طبيعيًا، كثيفان بتناسق نادر، كأن رسامًا صبورًا خطّهما بخط واحد واثق، فمنحا ملًمحها قوة واتزانًا .

أنفها مستقيم دقيق، صغير بقدرٍ محسوب، كأنه وُضع في منتصف الوجه ليحفظ توازن الجمال لا ليزاحمه. وشفتاها هادئتان، السفلى أكثر امتلاءً قليلًا من العليا، بلون وردي خافت يشبه بتلًت زهرة لم تكتمل صحوتها بعد.

iLovePDF

بشرتها صافية بلون القمح المضيء، ناعمة المظهر، ينساب عليها الضوء كما ينساب الماء على الرخام المصقول. وشعرها طويل داكن، كثيف كسواد الليل في أول ساعاته، ينسدل حول وجهها فيضاعف بياضه ويمنحه إطارًا من الهيبة والغموض.

كانت من ذلك النوع الذي لا يدُهشك بتفصيل واحد، بل يرُبكك بالكمال الهادئ لاجتماع التفاصيل كلها في مكانها الصحيح.

قلتُ ما يقوله الناس عادة في مثل هذه اللحظات: إنني مدين لها، وإنني لن أنسى ما فعلته، وإن الحياة أحيانًا ترُدّ إلى أصحابها بأيدي غرباء لا يعرفونهم .

ابتسمت ابتسامة خفيفة، ثم قالت:

"أنا لم أفعل إلا واجبي".

وكانت جملة بسيطة، لكنها خرجت من فمها كما لو أنها حقيقة قديمة لا تحتاج إلى شرح

عدتُ إلى غرفة يامن بعدها، وجلستُ عنده حتى هدأ النهار.

لا شيء استثنائي حدث اليوم، سوى أن أخي بقي حيًّا، وأن المدينة، رغم كل ما فيها، ما زالت تخُفي بين ممراتها أناسًا يرممون ما يكسره العالم.

فارس

iLovePDF

القدس

في اليوم التالي،

عدتُ إلى المشفى كما يعود المرء إلى فكرةٍ لم تغادره تمامًا، وإن أوهم نفسه بأنه جاء لسببٍ آخر. قلتُ إنني ذاهب للاطمئنان على يامن، وكان ذلك صحيحًا، غير أن الحقيقة أحيانًا تحمل في داخلها حقيقةً أصغر لا نعترف بها بسهولة.

كان الصباح باردًا على غير عادة القدس، والسماء ملبدّة بغيوم خفيفة تشُبه الأرواح المتعبة؛ لا تمطر، لكنها لا تبتسم أيضًا .

وجدتُ يامن أفضل حالاً من الأمس، وقد استعاد شيئاً من سخريته الثقيلة التي لا تفارقه حتى في الوجع. جلسنا نتحدث قليلًا، ثم طلب مني أن أجلب له ماءً من آخر الممر، فخرجتُ على مهل، لا أدري إن كنتُ أبحث عن الماء فعلًا أم عن وجهٍ رأيته بالأمس وبقي معلقًا في ذاكرتي ك ما تبقى الألحان القديمة في أطراف السمع .

كانت هناك.

تقف قرب غرفة الإسعاف، ترُاجع بعض الأوراق بسرعة، وقد ارتدت ذلك البياض الذي يجعل أصحاب الرحمة يبدون كأنهم خُلقوا من نورٍ أخفّ من أجساد البشر.

وللمرة الأولى انتبهتُ إلى شيء لم أره أمس وسط القلق:

أنها لا تتحرك كغيرها.

iLovePDF

كان في خطواتها نظام هادئ، وفي صوتها ثبات لا يرتفع ولا يضطرب ،كأن الفوضى حين تقترب منها تجُبر على أن تهدأ قليلًا.

وقبل أن أفكر حتى في الاقتراب، دخل إلى المشفى رجل يحمل طفلًا صغيرًا غارقًا في الدماء، يصرخ باسمه كأن الاسم وحده قادر على إبقائه حيًّا.

في لحظة واحدة تبدّل كل شيء.

ارتفعت الأصوات، وتسارعت الخطوات، وامتلأ المكان بذلك الذعر الذي يجعل البشر يفقدون ترتيب أرواحهم.

أما هي، فلم ترتبك.

رأيتها تتقدم بسرعة، لكن دون فوضى، كأنها اعتادت أن تمشي داخل الكوارث دون أن تسقط فيها.

قالت بصوت ثابت:

"ضعوه هنا".

ثم بدأت تعطي أوامرها بسرعة خاطفة، وكان الجميع يطيعها دون نقاش، لا لأن صوتها عالٍ، بل لأن الطمأنينة نفسها كانت تتحدث من خلالها.

وحين رأتني واقفًا قريباً، التفتت إليّ فجأة وقالت:

"أنت... أحضر تلك الضمادات".

iLovePDF

أشارت بيدها قبل أن تعود إلى الطفل مباشرة، ففعلتُ ما قالت دون تفكير، ثم عادت تقول:

"الماء... بسرعة" .

ثم:

"ارفع رأسه قليلًا."

ولدهشتي، كنتُ أطيعها كما لو أنني أعرفها منذ زمن، وكأن الإنسان في لحظات الخوف لا يبحث عمّن يملك السلطة، بل عمّن يملك الطمأنينة .

كانت يداها تتحركان بخفة مدهشة، لا ترتجفان رغم الدم، ولا تتباطآن رغم الصراخ. وفي عينيها ذلك التركيز العجيب الذي يجعل الرحمة تبدو قوية لا ضعيفة.

وحين بدأ الطفل يستعيد أنفاسه شيئاً فشيئاً، رأيت التعب يسقط فجأة فوق ملّمحها، كأنها كانت تؤجل إنسانيتها إلى أن تنتهي المعركة .

جلست قليلًا قرب الحائط، وأغمضت عينيها للحظة قصيرة، ثم فتحتها وعادت للعمل كأن شيئاً لم يكن .

لا أعلم لماذا بقي ذلك المشهد يلّحقني أكثر من الحادثة نفسها.

ربما لأنني رأيت للمرة الأولى إنسانًا يضع قلبه كاملًا في يد الآخرين دون أن يطلب منهم حتى أن ينتبهوا.

وحين مررتُ قربها بعد ذلك، قالت بهدوءٍ متعب:

iLovePDF

“شكرًا لمساعدتك.”

كانت جملة عابرة، قصيرة، لكنني شعرتُ أنها خرجت من امرأة تعرف أن اللطف لا يحتاج إلى مناسبة كبيرة كي يقُال.

عدتُ إلى غرفة يامن بعد ذلك، إلا أنني لم أعد كما كنتُ قبل ساعة.

ثمة أشخاص لا يدخلون حياتنا بضجيج، بل يتسللون إليها بهدوءٍ يشبه الضوء، ثم نكتشف متأخرين أن شيئاً في أرواحنا قد تغيرّ منذ لحظة وصولهم .

فارس

iLovePDF

القدس

لم أعتد أن أكتب عن الناس.

أقضي أيامي بين الوجوه العابرة؛ مرضى يدخلون وهم يتألمون، وآخرون يخرجون وقد ترك التعب خطوطه فوق أرواحهم قبل أجسادهم. ومع الوقت يتعلم المرء، رغماً عنه، أن يمرّ على البشر دون أن يعلّق قلبه بأحد، لأن القلوب في الأماكن المزدحمة بالتعب لا تحتمل مزيدًا من التعلّق.

لكنني، منذ يومين، وجدتُ نفسي أفكر بذلك الغريب أكثر مما ينبغي.

جاء إلى المشفى مذعورًا على أخيه، وكانت الفوضى ظاهرة عليه رغم محاولته إخفاءها. رأيت في عينيه ذلك الخوف الصادق الذي لا يصطنعه الرجال عادة، الخوف الذي يجعل الإنسان يبدو أكثر حقيقة مما هو عليه في الأيام العادية.

كان طويل القامة على نحو يلفت النظر دون تكلف، وكأن الطول خُلق له قبل أن يخُلق الجسد نفسه. عريض الكتفين، ممتلئ البنية بقوة هادئة لا تشبه استعراض الرجال الذين يبالغون في إظهار صلَّبتهم، بل تشبه قوة من اعتاد أن يحمل عن الحياة أثقالها دون شكوى.

بشرته سمراء بلون القمح الذي قبّلته شمس القدس طويلاً، لا قاتمة ولا فاتحة، بل ذلك اللون الدافئ الذي يمنح الملَّمح حياة وهيبة في آنٍ معًا.

وكان في وجهه شيء يصعب وصفه بدقة؛ ليس جمالاً ناعمًا يطمئنك من النظرة الأولى، بل جمال يفرض حضوره ببطء، حتى تجد نفسك تنظر مرة أخرى دون سبب واضح.

iLovePDF

عيناه داكنتان، عميقتان على نحو مقلق، كأنهما تخفيان تعباً قديمًا لا يتحدث عنه. وحين يصمت، تبدوان أكثر امتلاءً بالكلام من أفواه كثيرين. أما رموشه فكانت كثيفة بشكل يليق بلوحة مرسومة بعناية، تمنح نظرته حدّة خفيفة تزيدها وقارًا .

حاجباه مستقيمان بثقة طبيعية، وأنفه حاد متناسق، أما فكه فكان واضح المعالم على نحو يمنح وجهه صلَّبة رجولية لا تخلو من الجاذبية.

ولعل أكثر ما شدني إليه لم يكن شكله وحده، بل التناقض الغريب فيه.

كان يبدو كرجل يستطيع أن يعبر الشوارع المزدحمة دون أن يخاف شيئاً، ثم يلتفت إلى أخيه المصاب بعينين مرتبكتين كطفل يخشى الفقد .

وفي الأمس، حين دخلت تلك الحالة الإسعافين المفاجئة، لم يتراجع كما يفعل معظم الواقفين بدافع الفضول، بل بقي يساعدني بصمت، يناولني ما أطلبه بسرعة، وكأنه نسي أنه مجرد زائر.

أذكر أن الدم كان كثيرًا، والصراخ أعلى من المعتاد، ومع ذلك لم أرَ في وجهه ذلك الاشمئزاز الذي يهرب به البعض من الألم البشري، بل رأيت قلقًا صادقًا، ورغبة حقيقية في أن ينجو ذلك الطفل، رغم أنه لا يعرفه.

وحين انتهى كل شيء، التفتُ إليه لأشكره.

كان يقف قريباً جدًا هذه المرة، حتى إنني انتبهتُ إلى رائحة عطره الخفيفة؛ رائحة دافئة تشبه خشب الأرز بعد المطر.

iLovePDF

قال إنه لم يفعل شيئاً يستحق الشكر، لكنه قالها بتلك النبرة الهادئة التي تجعل الكلمات تبدو أكثر صدقًا مما هي عليه.

لا أعلم لماذا بقي في ذاكرتي بعد ذلك .

ربما لأن بعض الأشخاص لا يتركون أثرهم بما يقولونه، بل بالطريقة التي يقفون بها وسط الفوضى.

وربما لأنني، للمرة الأولى منذ زمن طويل، رأيت رجلًا تبدو القسوة مناسبة لملَّمحه، بينما كان قلبه، على نحوٍ غريب، أكثر رقة مما ينبغي.

نور

iLovePDF

القدس

لم يكن صباح اليوم مختلفًا كثيرًا عن سواه، ومع ذلك شعرتُ منذ بدايته بأن شيئاً ما ينتظرني في آخره.

في المشافي، تتشابه الأيام حتى يكاد المرء يظن أن الزمن لا يتحرك فعلًا؛ الوجوه ذاتها، رائحة المعقمات ذاتها، التعب ذاته الذي يهبط على الأكتاف بهدوءٍ ثقيل. ومع الوقت يصبح الإنسان قادرًا على أداء الرحمة كعادة يومية، حتى يخاف أحيانًا أن يكون قد اعتاد الألم أكثر مما ينبغي.

كنتُ أراجع ملفات المرضى حين توقفتُ عند اسم يامن مرة أخرى.

أخبرني الطبيب أن حالته أصبحت مستقرة بما يكفي ليغادر المشفى اليوم، لكن جراحه ما تزال تحتاج إلى متابعة دقيقة وتبديل مستمر للضمادات، ثم أضاف بهدوء:

“ستتولين زيارته المنزلية إلى أن يتماثل للشفاء”.

كانت جملة عادية، جزءًا من عملي المعتاد، وقد قمتُ بعشرات الزيارات المشابهة من قبل، غير أنني شعرتُ للحظة بترددٍ صغير مرّ داخلي سريعًا كنسمة لا ترُى.

لم أفهم سببه تماماً.

ربما لأنني أعرف مسبقًا من سأراه هناك

دخلتُ غرفة يامن بعد قليل، فوجدتُ والدته تجلس قربه تقرأ شيئاً بصوت منخفض، بينما كان هو يحاول إقناعها بأنه بخير أكثر مما هو عليه فعلًا.

iLovePDF

وحين أخبرتهما أنه سيغادر اليوم، امتلأت ملّمح والدته بذلك الفرح الحذر الذي تعرفه الأمهات جيدًا؛ الفرح الذي يبقى خائفًا حتى بعد زوال الخطر، كأن قلب الأم لا يثق بالحياة بسهولة بعد أن تقترب من أبنائها بهذا الشكل .

بدأتُ أشرح لها مواعيد الدواء والعناية بالجرح، وكانت تستمع إليّ بانتباه شديد، تومئ برأسها كل حين وكأنها تحفظ كلّمي داخل قلبها لا عقلها فقط.

ثم قلت لها إنني سأزورهم في المنزل كل ثلاثة أيام لتبديل الضمادات ومتابعة حالته

وفي تلك اللحظة تحديدًا، سمعتُ صوت الباب يفُتح خلفي .

التفتُّ دون تفكير.

كان فارس

دخل بخطوات هادئة هذه المرة، لا تحمل ذلك الاضطراب الذي كان يملؤه يوم الحادثة، لكنه بدا متعباً على نحو خفي، كأن الأيام الأخيرة سحبت من روحه نومًا كثيرًا

كان يرتدي قميصًا أسود بسيطًا يزيد سمرته دفئاً، وقد بدا طويلًً إلى درجة تجعل المكان أضيق قليلًً حوله. وفي حضوره ذلك الثبات الغريب الذي يجعل المرء ينتبه إليه حتى وهو صامت.

لا أعلم لماذا شعرتُ للحظة أن الغرفة أصبحت أكثر امتلاءً بمجرد دخوله.

اقترب من أخيه أولاً، سأل عن حاله، ثم التفت إليّ حين أخبرته والدته بأمر الزيارات المنزلية

قال بهدوء:

"إذًا سنراكِ كثيرًا فيما يبدو ."

iLovePDF

كانت جملة عادية جِدًا، لكن طريقته في قولها جعلتها تبدو وكأنها تحمل معنى آخر لم يقُلَ كاملً.

أجبته بأن هذا جزء من عملي، ثم عدتُ إلى ترتيب بعض الأوراق كي أخفي ارتباكًا صغيرًا لم أفهم سببه .

الغريب أنني، طوال عملي هنا، اعتدتُ أن ينظر الناس إليّ بوصفي ممرضة وحسب؛ شخصًا يأتي ليضمد الجراح ثم يمضي.

أما معه، فكنتُ أشعر أحيانًا أنه ينظر إليّ كما لو أنني إنسانة قبل أي شيء آخر.

وذلك... مربك أكثر مما ينبغي.

حين هممتُ بالمغادرة، أوصلتني والدته إلى الباب وهي تدعو لي كثيرًا، ثم قالت بابتسامة دافئة إن البيت سيفرح بوجودي بينهم.

ابتسمتُ لها بأدب، لكنني لم أعرف لماذا علقت العبارة في ذهني طوال الطريق.

"البيت سيفرح بوجودي بينهم"

بعض البيوت تشبه أصحابها؛ دافئة حتى قبل أن ندخلها.

وبعض الأشخاص، على نحوٍ لا نفهمه، يجعلون فكرة رؤيتهم مرة أخرى تبدو أخفّ على القلب مما يجب.

نور

iLovePDF

القدس

إليكِ ما لم أقله حين وقفتِ في غرفتنا الصغيرة، تحملين حقيبتكِ الطبية وكأنكِ تحملين معكِ شيئاً من الطمأنينة أيضًا .

لم يكن البيت معتادًا على الغرباء، ولا أنا كذلك، ومع هذا بدا حضوركِ فيه طبيعيًا على نحوٍ أربكني .

كنتِ تتحركين بيننا بهدوء امرأة تعرف تمامًا ماذا تفعل، تراجعين جرح يامن بعناية، وتسألين والدتي إن كان قد تناول دواءه، ثم تعودين لترتيب الضمادات بتلك الدقة التي تجعل الأشياء البسيطة تبدو مهمة .

وكان الغريب أن البيت كله كان يصغي إليكِ .

حتى الصمت .

جلستُ أراقبكِ من بعيد أول الأمر، محاولاً أن أقنع نفسي أن اهتمامي سببه الامتنان لا أكثر، لكن الإنسان لا يراقب الامتنان بهذه الطريقة.

ثمة شيء فيكِ يجعل النظر يطول دون إذنٍ من صاحبه .

ربما هو ذلك الهدوء الذي يسبق كلماتكِ دائمًا، أو تلك الرحمة الواضحة في عينيكِ حتى وأنتِ متعبة، أو الطريقة التي تنحنين بها قليلًا وأنتِ تبدّلين الضماد، كأنكِ تخشين أن تؤلمي الجرح ولو لمسةً واحدة.

واليوم فقط، بعيدًا عن ضجيج المشفى، استطعتُ أن أراكِ كما ينبغي.

iLovePDF

كان الضوء القادم من النافذة يستقر فوق وجهكِ بهدوء، فيزيده دفئاً ونعومة، وقد بدا شعركِ الداكن أكثر لمعانًا وهو ينسدل حول كتفيكِ كسواد ليلةٍ ساكنة لا يعكرها شيء.

أما عيناكِ، فقد كان فيهما ذلك البريق العجيب الذي يجعل الإنسان يشعر أن الطيبة يمكن أن ترُى فعلًا، لا أن توُصف فقط.

ولم أفهم كيف تستطيع امرأة تبدو بكل هذا اللطف أن تحمل كل تلك القوة أيضًا .

حين كنتِ تتحدثين مع والدتي، انتبهتُ إلى أن الجميع يرتاح لكِ بسرعة، وكأنكِ تملكين قدرة خفية على جعل الناس يشعرون بالأمان قربكِ.

حتى يامن، الذي لا يطيق أحدًا حين يتألم، كان ينفذ كلًمكِ دون اعتراض.

وأنا...

كنتُ أستمع لصوتكِ أكثر مما أستمع للكلمات نفسها.

أتعلمين ما الأمر الأكثر غرابة؟

أنكِ لا تبدين مدركة لما تفعلينه بالآخرين .

تتصرفين بعفوية كاملة، تمنحين لطفكِ للناس كما لو أنه أمر بسيط، بينما هو في الحقيقة نادر إلى درجة تخُيف.

iLovePDF

وحين هممتِ بالمغادرة، شعرتُ للحظة أن البيت سيعود أكثر فراغًا بعد خروجكِ، رغم أنكِ لم تبقي فيه سوى وقت قصير.

ركبت السيارة بقربي بعد أن أصررت عليك بأن أوصلك إلى المستشفى وألا أدعك تذهبين وحدك .... وانطلقنا في رحلة قصيرة لم تأخذ إلا بضع دقائق تمنيت فيها لو يمتد الطريق إلى المستشفى كي تبقين معي وقتاً أطول أو أن تقف السيارة بنا فأحظى بفرصة محادثتك أكثر ... لكن الطريق كان يطوي نفسه بنفسه كي يقتل ما تمنيته لحظتها .....

بعد أن عرفتك أدركت أن بعض الأشخاص لا يحتاجون زمنًا طويلًا كي يتركوا أثرهم.

يكفي فقط... أن يدخلوا المكان بقلوبهم الحقيقية.

فارس

iLovePDF

القدس

إلى فارس،

في ذلك اليوم الذي جئتُ فيه إلى بيتكم للمرة الأولى لمتابعة حالة يامن بعد خروجه من المشفى، لم يكن في ذهني سوى أن أنهي عملي كما يجب، ثم أعود كما أتيت، دون أن يعلق بي شيء من الطريق.

لكن عند المغادرة، أصررتَ أن ترافقني.

لم يكن إصرارًا مزعجًا، بل كان هادئاً إلى درجة لا تسمح بالرفض بسهولة. قلتَ إنك ستوصلني، ثم تعيدني، وكأن الأمر أصبح طبيعياً منذ لحظته الأولى، دون حاجة إلى نقاش أو تفسير.

في الطريق، لم تكن كثرة الكلَّم هي ما لفتني، بل تلك السكينة التي كانت في حضورك. كنت تقود بهدوء، وتلتفت أحياناً لتسأل عن حالة يامن، ثم تصمت وكأنك تحفظ ما يقُال دون أن تحتاج لإعادة سماعه

وحين انتهى عملي، لم تتركني أعود وحدي .

قلتَ بجملة واحدة، قصيرة وواضحة:

"منذ اليوم أنا من سيتكفل بإحضارك إلى البيت واعادتك إلى المستشفى امتنانا لك على صنيعك معنا."

لم أجبك وقتها، ليس لأنني لم أفهم، بل لأن الجملة بدت أكبر من أن ترُدّ بسرعة.

في ذلك اليوم فقط، فهمت أن بعض القرارات لا تشُرح... بل تفُرض بهدوء، ثم تتحول مع الوقت إلى أمرٍ معتاد.

نور

iLovePDF

القدس

إلى فارس،

في زيارتي الثانية لبيتكم، لم يكن اليوم يشبه سابقه في شيء، لا في هدوئه ولا في ترتيب اللحظات داخله.

كنتُ أعمل كما في كل مرة، أراجع جرح يامن وأبدّل الضماد، بينما يدي منشغلة بما اعتدتُ عليه، وعقلي في مكانٍ بين الدقة والسرعة كي لا أطيل البقاء أكثر من اللازم

لكن شيئاً صغيرًا خرج عن هذا النظام الهادئ

شعري، الذي لم أنتبه إليه في البداية، انسدل أمام وجهي أثناء انشغالي، وتبعثرت خصلًته بطريقة أزعجتني قليلًً، وأربكت حركة يدي. حاولتُ أن أزيحه دون أن أقطع عملي، لكن الأمر ازداد سوءًا، حتى شعرتُ بشيء من الضيق الخفيف الذي لا يليق بمهنتي ولا بي.

كنتُ على وشك أن أستعيد ربطة شعري بنفسي، حين اقتربتَ دون أن تحُدث ضجيجًا.

لم أقل شيئاً، ولم ألتفت سريعًا، لكنني شعرتُ بحضورك قبل أن أراك. ثم، بهدوءٍ بسيط، ربطتَ شعري إلى الخلف بربطة حمراء كانت معك، بطريقة دقيقة وكأنك تفعل ذلك منذ زمن طويل.

لم يكن في الأمر شيء كبير من الخارج، لكنه بالنسبة لي توقف الزمن للحظة قصيرة.

شعرتُ أن الهواء صار أخف، وأن الحركة التي كنتُ فيها قبل ثوانٍ فقط أصبحت بعيدة وكأنها ليست لي لم أعتد أن يقوم أحد بمثل هذا الفعل بهذه البساطة، ولا أن يعُامل وجودي بهذا القدر من العناية دون كلام .

جلستَ بعدها قليلًً، دون أن تقول شيئاً، فقط تنظر، كأنك تتأكد أن كل شيء في مكانه الصحيح.

iLovePDF

أما أنا، فعدتُ إلى عملي، لكن يدي لم تكن بنفس الهدوء الذي كانت عليه قبل لحظات.

لا أعرف كيف أصف ذلك الشعور بدقة، لكنه كان مزيجًا غريباً من ارتباك خفيف وراحة لا تفُسَّر، كأن شيئاً داخليًا توقف عن التوتر دون أن أطلب منه ذلك.

وفي تلك اللحظة، لم يكن ما فعله هو ما بقي في ذاكرتي فقط ...

بل الطريقة التي جعلني بها أشعر أنني مرئية، دون أن يقُال ذلك بصوتٍ واحد.

نور

iLovePDF

القدس

إلى نور

أصبحتُ أصل إلى المشفى قبل موعد خروجكِ بوقتٍ قصير، كأن قلبي تعلمّ أن يسبقكِ إلى الأماكن قبل أن تصليها أنتِ.

وفي ذلك المساء، كنتُ أجلس داخل السيارة أمام باب المشفى، بينما كانت المدينة تغرق ببطءٍ في ضوء الغروب، والناس يعبرون الطرقات على عجلٍ كأن لكلٍّ منهم حياة تنتظره في مكانٍ آخر.

أما أنا، فكنتُ أنظر إلى تلك النافذة البعيدة... النافذة

نفسها التي رأيتكِ عندها للمرة الأولى.

لا أعلم كيف بقي ذلك المشهد حيًّا داخلي بهذا الوضوح، رغم أن الأيام مرّت بعده كثيرة. مازلتُ أراكِ واقفة هناك، بثوبكِ الأبيض، وشعركِ الداكن ينسدل فوق كتفيكِ بهدوء، بينما كان الضوء يحيط بكِ بطريقة جعلتكِ تبدين كأنكِ منفصلة عن المكان كله.

كأنكِ الشيء الوحيد الهادئ داخل تلك الفوضى.

كنتُ غارقًا في ذاكرتي حتى خرجتِ أخيرًا من باب المشفى.

رفعتُ بصري إليكِ فورًا، وكأن قلبي كان يعرف خطاكِ قبل أن أراها.

كنتِ تمشين بهدوئكِ المعتاد، تحملين حقيبتكِ بيدكِ، بينما يعبث الهواء بخصلات شعركِ القريبة من وجهكِ. ولم أعرف لماذا شعرتُ، للحظة قصيرة، أن المساء صار أجمل فقط لأنكِ خرجتِ فيه.

نزلتُ من السيارة بسرعة واتجهتُ نحو الباب لأفتحه لكِ، لكنكِ كنتِ قد مددتِ يدكِ نحوه في اللحظة ذاتها.

التقت يدي بيدكِ .

وللحظة...

توقّف كل شيء.

iLovePDF

كانت أصابعكِ دافئة على نحوٍ مربك، ناعمة بصورة جعلتني أنسى حتى ما كنتُ أفعله. ثم رفعتِ عينيكِ نحوي، فوجدتُ نفسي غارقًا فيهما دون مقاومة.

يا الله...

كيف يمكن لعيني إنسانة أن تكونا بهذا القدر من الجمال؟

كان فيهما شيء لا يشبه بقية العيون؛ دفءٌ هادئ، ولمعة خفيفة تشبه الضوء حين ينعكس فوق الماء ليلًا. نظرة واحدة منكِ كانت كافية لتجعل العالم كله يبدو أبعد مما هو عليه.

لكنكِّ سحبتِ يدكِ بسرعة، كأنكِ أدركتِ فجأة طول اللحظة بيننا .

فتحتِ الباب بنفسكِ بعدها، ثم جلستِ داخل السيارة دون أن تقولي كلمة واحدة .

أما أنا، فعدتُ إلى مقعدي وقلبي ما يزال عالقًا عند تلك الثانية القصيرة التي لمستُ فيها يدكِ.

طوال الطريق، كان الصمت يجلس بيننا بهدوءٍ غريب.

وأنا...

كنتُ أراكِ من المرآة الصغيرة أكثر مما أرى الطريق أمامي.

في كل مرة كنتُ أرفع بصري نحوها، كنتُ أجدكِ تنظرين إليّ للحظة قصيرة، ثم تشُيحين بعينيكِ سريعًا كأنكِ تخشين أن ألاحظ.

لكنني كنتُ ألاحظ كل شيء.

ارتباككِ الخفيف، الطريقة التي تضمين بها أصابعكِ حين تتوترين، وحتى أنفاسكِ التي كانت أبطأ من المعتاد .

وحين وصلنا إلى البيت، نزلتِ بسرعة ودخلتِ قبلي، كأنكِ تحاولين الهرب من شيءٍ ما لا تريدين مواجهته.

تبعتكِ بهدوء، بينما بدأتِ عملكِ مباشرة دون أن تنظري نحوي أو تتحدثي إليّ.

iLovePDF

كنتِ تغيرّين ضماد يامن بتركيزكِ المعتاد، لكنني شعرتُ أن الصمت بيننا يومها لم يكن صمتاً عادياً .

بل كان ممتلئاً بشيءٍ لا نعرف كيف نقوله .

وحين انتهيتِ أخيرًا وحملتِ حقيبتكِ استعدادًا للمغادرة، أسرعتِ نحو الباب كأنكِ تريدين الرحيل قبل أن يحدث شيء آخر يربك قلبكِ أكثر.

لكنني أوقفتكِ قبل أن تغادري.

قلتُ بهدوء:

"انتظري... لا تذهبي وحدكِ، سأوصلكِ."

خفضتِ عينيكِ نحو الأرض للحظة، ولم أعرف لماذا بدا ذلك الخجل الصغير في ملّمحكِ أجمل من كل شيء رأيته في ذلك اليوم.

سبقتِني إلى السيارة هذه المرة، وحين وصلتِ إلى الباب، كنتُ أسرع منكِ مجدًدًا .

وقفتُ أمامكِ وقلتُ بابتسامة خفيفة :

"أنا سأفتح الباب هذه المرة، طبيبتنا" .

رفعتِ عينيكِ نحوي أخيرًا... ثم

ابتسمتِ.

وكانت ابتسامتكِ كافية لأن تجعل المساء كله يبدو أكثر دفئاً.

ركبتِ السيارة بصمت، أما أنا فبقيتُ للحظة واقفًا عند الباب، أحاول أن أفهم كيف أصبحتِ قادرة على إرباك رجلٍ مثلي بهذه السهولة.

وفي منتصف الطريق تقريبًا، خفت صوت السيارة فجأة، ثم توقفت.

حاولتُ تشغيلها مرة.

ثم مرة أخرى .

لكنها لم تستجب.

iLovePDF

ساد الصمت داخل السيارة للحظات، بينما بقيتُ أحدق أمامي بعدم تصديق خفيف، ثم أعدتُ المحاولة مجددًا... ولا شيء .

التفتُّ نحوكِ أخيرًا، فوجدتكِ تنظرين إليّ بهدوءٍ ممتزج بشيءٍ من الترقب، وكأنكِ تنتظرين ما الذي سيحدث لنا الآن .

( يتبع... ... )

iLovePDF

القدس
إلى نور

حين توقفت السيارة في منتصف الطريق، شعرتُ لوهلة أن المساء كله حبس أنفاسه معنا.

أعدتُ المحاولة مرة بعد أخرى، لكن المحرك بقي صامتاً بعنادٍ مستفز، بينما كانت أضواء الشارع تنعكس فوق الزجاج بصمتٍ بارد.

تنهدتُ أخيرًا، ومررتُ يدي بين شعري بضيقٍ خفيف، قبل أن ألتفت نحوكِ معتذرًا:

"يبدو أن السيارة قررت خيانتي الليلة" .

ابتسمتِ ابتسامة صغيرة بالكاد ظهرت، ثم فتحتِ الباب بهدوء ونزلتِ من السيارة.

تبعتكِ مباشرة، فرأيتكِ تضمين حقيبتكِ إلى صدركِ قليلًا وأنتِ تقولين:

"سأكمل طريقي وحدي... شكرًا لك، يبدو أنني أتعبك كثيرًا."

لا أعلم لماذا ضايقتني جملتكِ أكثر مما ينبغي.

ربما لأن فكرة أن تذهبي وحدكِ بينما أنا موجود بدت مستحيلة بطريقة لا أفهمها .

اقتربتُ منكِ خطوة وقلتُ بهدوء:

"لن تذهبي وحدكِ وأنا هنا ... نسير سوياً "

رفعتِ بصركِ نحوي للحظة، ثم ابتسمتِ بتلك الطريقة الهادئة التي تجعل قلبي ينسى كل شيء آخر، وقلتِ بخفة:

"إذًا... هيا بنا ."

بدأنا نسير معًا في شوارع القدس المبللة بضوء المساء، بينما كانت المدينة تبدو أكثر هدوءًا من المعتاد، كأن الليل لم يكتمل بعد.

وفي منتصف الطريق تقريبًا، انعطفتُ نحو شارع آخر.

iLovePDF

توقفتِ قليلًا ونظرتِ إليّ باستغراب:

“هذا ليس طريق المشفى”.

التفتُّ نحوكِ بابتسامة خفيفة وقلتُ :

“أنا آخذكِ إلى مكانٍ آخر لا إلى المشفى .”

ضيقتِ عينيكِ قليلًا وكأنكِ تحاولين فهم ما أفكر به، ثم سألتِ بهدوء:

“وإلى أين؟”

ترددتُ لثانية قصيرة قبل أن أقول:

“هل تسمحين لي أن أتعبكِ بفنجان قهوة؟”

ضحكتِ بخفة، وكانت ضحكتكِ أخف من المطر قبل هطوله، ثم قلتِ:

“نعم... أسمح لك ”.

ولا أظن أن أحَدًا في هذه المدينة كلها كان أكثر سعادة مني في تلك اللحظة.

اشتريتُ لكِ فنجان قهوة ساخنًا، ولوح شوكولا صغيرًا اخترته دون تفكير، ثم أخذتُ لنفسي مثل ما أخذتُ لكِ، وخرجنا نسير من جديد.

الغريب أننا لم نتحدث كثيرًا.

لكن الصمت معكِ لم يكن ثقيلًا أبدًا.

كان يشبه تلك الموسيقى الهادئة التي لا ينتبه الإنسان لوجودها، ومع ذلك يشعر أن المكان يصبح أجمل بسببها.

كنا نمشي ببطء، وكلما التقت عيوننا صدفة، ابتسم أحدنا للآخر دون سبب واضح، ثم نتابع السير وكأن شيئاً لم يحدث.

ومع الوقت، بدأت السماء تتغير.

تلبدت الغيوم فوقنا سريعًا، ثم هبط المطر فجأة، خفيفًا أول الأمر، قبل أن يشتد شيئاً فشيئاً .

iLovePDF

رأيتكِ تضمين يديكِ حول نفسكِ من البرد، وتحاولين إخفاء ارتجافتكِ الصغيرة، فخلعتُ سترتي فورًا ووضعتها فوق كتفيكِ.

نظرتِ إليّ بدهشة خفيفة وقلتِ:

"هكذا ستشعر بالبرد أنت" .

ابتسمتُ دون تفكير وقلتُ:

"فداكِ... ما يهمني هو ألا تبردي أنتِ."

خفضتِ عينيكِ بعدها بابتسامة صغيرة، بينما شددتِ السترة حولكِ أكثر، وأكملنا الطريق تحت المطر بهدوءٍ غريب، كأن العالم كله ابتعد عنا للحظات وترك لنا هذا المساء وحدنا.

وحين وصلنا أخيرًا إلى باب المشفى، توقفتِ للحظة قصيرة ثم تابعتِ سيركِ نحو الداخل.

كنتِ ما تزالين ترتدين سترتي، لكنكِ بدوتِ سارحة إلى درجة أنكِ نسيتِ الأمر تمامًا.

أما أنا...

فبقيتُ واقفًا تحت المطر، أراقبكِ وأنتِ تبتعدين عني ببطء، بينما تتحرك أطراف السترة السوداء فوق كتفيكِ مع خطواتكِ الهادئة.

وفي تلك اللحظة تحديدًا، أدركتُ أن بعض الأشخاص لا يأخذون منّا الأشياء حين يرحلون...

بل يتركون أرواحنا معهم دون أن يشعروا .

فارس

iLovePDF

القدس

إلى فارس،

لم أكن أعلم أن ليلةً عادية يمكن أن تبقى عالقة في القلب إلى هذا الحد.

حين خرجتُ من المشفى ذلك المساء، كنتُ أعرف مسبقًا أنك ستكون هناك.

لا تسألني كيف.

بعض الأشخاص يصبح حضورهم متوقعًا بطريقة لا تحتاج إلى مواعيد أو اتفاقات واضحة، وكأن القلب يعتاد وجودهم قبل العقل .

رأيتُ سيارتك متوقفة في المكان المعتاد، ورأيتك داخلها تنظر نحو نافذتي القديمة في الطابق الأول، تلك النافذة التي وقفتُ عندها يوم رأيتني للمرة الأولى.

ولا أعلم لماذا شعرتُ بشيءٍ دافئ يتحرك داخلي حين أدركتُ أنك ما زلتَ تتذكر تلك اللحظة.

كنتُ أقترب من السيارة ببطء، بينما أحاول أن أبدو هادئة كما أبدو دائمًا، لكن الحقيقة أن قلبي كان أقل هدوءًا بكثير مما ظننت .

وحين نزلتَ لتفتح الباب لي، ومددتُ يدي في اللحظة نفسها، ثم شعرتُ بيدك فوق يدي... ارتبكتُ.

لا أظن أنني شعرتُ بمثل ذلك الارتباك منذ زمن طويل.

كانت يدك دافئة بصورة غريبة، ثابتة وقوية، ومع ذلك كان في لمستك شيء من الحذر، كأنك تخشى أن تؤذيني حتى وأنت لا تفعل أكثر من فتح باب سيارة.

ثم نظرتُ إليك.

وكان ذلك خطئي الأكبر .

لأن الإنسان لا ينبغي له أن يطيل النظر في عينيك أكثر مما يجب.

iLovePDF

في عينيك شيء يربك الطمأنينة نفسها؛ عمق هادئ، ونظرة تجعل من يقابلها يشعر وكأنه مرئي بالكامل، بكل ما يخفيه ويحاول ألا يقوله.

لهذا سحبتُ يدي سريعًا وركبتُ دون أن أتكلم.

لم أكن صامتة لأنني لا أملك كلًمًا، بل لأنني كنتُ أملك الكثير منه.

طوال الطريق، كنتُ أشعر بنظراتك عليّ من المرآة الصغيرة أمامك، وكنتُ، رغم محاولاتي، أرفع بصري كل مرة لأجد عينيك معلقتين بي من جديد.

وكلما التقت نظراتنا، كنتُ أشيح بعيني سريعًا وكأنني أهرب من شيء لا أريد الاعتراف به.

لكنني، في داخلي، لم أكن أهرب منك.

كنتُ أهرب من نفسي.

وحين وصلنا إلى البيت، دخلتُ قبلك مباشرة كي أستعيد هدوئي، وحاولتُ أن أغرق نفسي في العمل حتى لا أشعر بذلك الاضطراب الغريب الذي رافقني منذ وقفتَ قريبًا مني عند باب السيارة .

لكن وجودك حولي كان كافيًا ليجعلني واعية لكل تفصيل.

كنتُ أشعر بنظراتك حتى دون أن أراك، وأنتبه لصوت خطواتك أكثر مما ينبغي، وأتوتر كلما اقتربتَ مني مسافة صغيرة.

وحين انتهيتُ أخيرًا وأردتُ المغادرة، أوقفتني.

أتذكر جيِّدًا نبرة صوتك وأنت تقول:

"لا تذهبي وحدكِ... سأوصلكِ."

لا أعلم لماذا بدت جملتك بسيطة ومطمئنة في الوقت نفسه، كأنك تقولها وكأن حمايتي أمر يخصك منذ زمن .

سبقتكُ إلى السيارة حتى أخفي ارتباكي منك، لكنك لحقت بي بسرعة، ووقفتَ أمام الباب قائلًً بابتسامتك الهادئة :

"أنا سأفتح الباب هذه المرة، طبيبتنا" .

iLovePDF

يا الله...

حتى الآن، كلما تذكرت الطريقة التي قلتَ بها تلك الكلمة، أشعر بشيءٍ دافئ يمرّ داخلي دون استئذان.

ثم توقفت السيارة.

وفي اللحظة التي قلتُ فيها إنني سأكمل طريقي وحدي، كنتُ أظن أنك ستوافق حفاظًا على راحتك، لكنك رفضت فورًا، وكأن الفكرة نفسها أزعجتك.

"لن تذهبي وحدكِ وأنا هنا ." لا

تعرف ماذا تفعل بي جمل كهذه .

لأنني اعتدتُ أن أعتني بالناس... لا أن يعتني أحد بي.

وحين أخذتني إلى ذلك الطريق الآخر، ثم سألتني إن كنتُ أسمح لك بأن "تتعبني" بفنجان قهوة، شعرتُ بسعادة صغيرة وساذجة لم أشعر بها منذ وقت طويل .

كنت سعيدًا بطريقة جعلتني أخجل من نفسي قليلًا.

جلسنا نمشي معًا في الشوارع الهادئة، نحمل أكواب القهوة بأيدينا، بينما كان الصمت بيننا مريحًا بصورة لا تصُدق.

لم نحتج إلى الكثير من الكلَم.

كانت نظرة منك، أو ابتسامة صغيرة، تكفي لتقول أشياء كاملة.

وحين بدأ المطر يهطل، وشعرتُ بالبرد، لم تتردد لحظة واحدة في خلع سترتك وإلباسي إياها.

أتذكر جيدًا كيف بدت عليك البرودة بعد ذلك، ومع هذا كنتَ تبتسم وكأن الأمر لا يعنيك.

وحين قلتَ:

iLovePDF

“فداكِ... المهم ألا تبردي أنتِ.”

اضطرب قلبي بطريقة أخافتني فعلًا.

لأن أحدًا لم يقل لي شيئاً بهذا الدفء من قبل.

وصلنا إلى المشفى أخيرًا، لكنني كنتُ سارحة بكلَمك ونظراتك وطريقتك معك إلى درجة أنني نسيتُ سترتك فوق كتفي.

دخلتُ إلى الداخل وأنا ما أزال أرتديها، ثم توقفت فجأة حين شعرتُ برائحتك العالقة بها.

عندها فقط...

ابتسمتُ لنفسي للمرة الأولى منذ زمن طويل، دون سببٍ واضح، سوى أنك كنتَ جزءًا من ذلك المساء.

نور

iLovePDF

القدس

إلى نور،

منذ تلك الليلة الماطرة، لم تعد سترتي مجرد قطعة قماش سوداء ألقيها فوق كتفي حين يبرد المساء.

أصبحت تحمل شيئاً منكِ.

ولا أعرف كيف استطاعت رائحتكِ أن تبقى عالقة بها كل هذا الوقت، كأن المطر نفسه رفض أن يأخذ أثركِ بعيدًا .

في الصباح التالي، كنتُ أبحث عنها بعينٍ تعرف تمامًا أين هي، رغم أنني كنتُ أوهم نفسي أن الأمر لا يستحق كل هذا التفكير.

ثم رأيتكِ .

كنتِ تخرجين من باب المشفى بخطواتكِ الهادئة المعتادة، تحملين حقيبتكِ الطبية بيد، بينما سترتي مطبقة بعناية فوق ذراعكِ الأخرى.

ولأول مرة منذ عرفتكِ، شعرتُ أن شيئاً يخصني بدا أجمل لأنه كان بين يديكِ.

اقتربتُ منكِ بهدوء، وحين رفعتِ بصركِ نحوي، ارتبكتِ للحظة قصيرة قبل أن تمدّي السترة إليّ قائلة:

“أظن أنك تحتاجها أكثر مني الآن”.

ضحكتُ بخفة وأنا آخذها منكِ، لكنني لم أرتدها مباشرة.

لا أعلم لماذا.

ربما لأن دفء يديكِ كان ما يزال عالقًا فيها، وكنتُ أريد الاحتفاظ بتلك اللحظة أطول وقت ممكن .

سرنا معًا حتى وصولنا المنزل ، وكانت خطواتكِ أبطأ قليلًً من المعتاد، كأنكِ أنتِ أيضًا لا تريدين لهذا الصباح أن يمرّ بسرعة.

وحين دخلنا الغرفة، كان يامن مستيقظًا على غير عادته، وقد لمحنا معًا فورًا.

iLovePDF

نظر أولاً إليكِ، ثم إلى السترة بين يدي، قبل أن ترتسم فوق وجهه تلك الابتسامة المستفزة التي أعرفها جيِّدًا.

قال وهو يرفع حاجبه بمكر:

"يبدو أن المطر صار مفيدًا أحيانًا ."

ضيقتُ عيني نحوه بتحذير واضح، لكنه تجاهلني تمامًا والتفت إليكِ:

"أخبريني بصراحة... هل أخي يزعجكِ كثيرًا؟ لأنه منذ بدأتِ تزورينا صار يقف أمام المرآة أكثر مني".

يا الله...

لا أذكر آخر مرة شعرتُ فيها بهذا القدر من الرغبة في إسكات إنسان و إغلَق فمه .

أما أنتِ، فخفضتِ بصركِ بسرعة، وحاولتِ إخفاء ابتسامتكِ الصغيرة خلف انشغالكِ بترتيب أدواتكِ، لكن حمرة خفيفة صعدت إلى وجنتيكِ بطريقة جعلتكِ تبدين أجمل مما ينبغي.

وأقسم أنني في تلك اللحظة نسيتُ كيف يتنفس المرء بشكل طبيعي.

اقتربتِ من يامن وبدأتِ عملكِ المعتاد، لكن يديكِ لم تكونا ثابتتين كما في كل مرة، وكنتِ تبتسمين بين الحين والآخر دون أن تنتبهي لذلك.

أما أنا، فكنتُ أراقبكِ بصمتٍ كامل، كأنني أخشى أن يضيع مني أي تفصيل صغير يخصكِ .

تفاصيلكِ كلها كانت تفتنني على نحوٍ مرعب.

الطريقة التي تعقدين بها حاجبيكِ حين تركّزين، الطريقة التي تزُيحين بها شعركِ خلف أذنكِ دون وعي، وحتى صوت أنفاسكِ الخافت حين تنحنين فوق الجرح.

كل شيء فيكِ كان يبدو حيًّا أكثر من اللازم.

وحين انتهيتِ أخيرًا، جلس يامن يراقبنا بصمتٍ مريب قبل أن يقول فجأة:

"تعرفان؟ الجو هنا صار رومانسيًا بشكل مقزز."

iLovePDF

شهقتَ أنتِ بخجلٍ واضح ونظرتِ إليه بصدمة، بينما رميتهُ بالوسادة القريبة مني دون تفكير، فضحك بصوتٍ عالٍ كعادته.

وأنتِ... ضحكتِ.

لكن هذه المرة لم تكن ابتسامتكِ الصغيرة المعتادة.

كانت ضحكة حقيقية.

خرجت منكِ بعفوية كاملة، خفيفة وصافية إلى درجة جعلتني أتوقف عن كل شيء للحظة. أقسم أنني لم أسمع في حياتي صوتاً أجمل منها.

كانت تشبه المطر حين يسقط فوق مدينة متعبة، أو تشبه الضوء حين يدخل غرفة مظلمة فجأة دون استئذان.

ضحكتِ وأنتِ تحاولين إخفاء وجهكِ بيدكِ من شدة الخجل، بينما كنتُ أحدق بكِ وكأنني أراكِ للمرة الأولى من جديد.

وفي تلك اللحظة تحديدًا، أدركتُ شيئاً أخافني بقدر ما أسعدني.

أنني قد أكون مستعدًا لفعل أي شيء ... فقط

لأراكِ تضحكين بهذه الطريقة مرة أخرى.

فارس

iLovePDF

القدس

إلى فارس،

للمرة الأولى منذ عرفتك، رأيتُ الغضب في عينيك بوضوحٍ لا يمكن تجاهله.

وللمرة الأولى أيضًا... كان سببه أنا .

خرجتُ من المشفى ذلك اليوم متعبة أكثر من المعتاد، وقد استوقفني أحد الممرضين عند الباب ليسألني عن ملفٍ ناقص يخص إحدى الحالات. لم يكن الحديث مهمًا، ولا طويلًا، مجرد دقائق عابرة بين زميلين أنهكهما العمل، وانتهت بضحكة صغيرة مني بعدما أخبرني قصة سخيفة عن مريضٍ هرب من الدواء وكأنه يهرب من معركة كنتُ أضحك فقط.

ضحكة عادية جِدًا.

لكنني، ما إن رفعتُ بصري، حتى رأيتك واقفًا قرب السيارة تنظر إلينا بصمتٍ غريب.

في البداية ظننتُ أنني أتخيل الأمر.

لكن لا...

كنتَ منزعجًا فعلًا.

عرفتُ ذلك فورًا من ملَمحك؛ من الطريقة التي عقدتَ بها حاجبيك قليلًا، ومن صمتك الثقيل حين اقتربتُ منك، وحتى من الطريقة التي فتحتَ بها باب السيارة دون أن تنظر نحوي كما تفعل دائمًا .

ركبتُ إلى جانبك بهدوء، بينما كان الصمت يجلس بيننا بصورة حادة هذه المرة، لا تشبه صمتنا المعتاد أبَدًا.

قدتَ السيارة دون كلمة واحدة.

iLovePDF

وعيناكِ مثبتتان على الطريق وكأنك تخشى أن تنظر إليّ أكثر من ثانية أما أنا، فكنتُ أراقبك من طرف خفي وأشعر بشيءٍ صغير ودافئ يتحرك داخلي رغم كل شيء .

لأنني كنتُ أعرف سبب انزعاجك .

وذلك وحده كان كافيًا ليجعل قلبي يبتسم بخبثٍ صغير لم أعتده من نفسي.

لكنني، في اللحظة ذاتها، كنتُ أعود فأوبخ أفكاري بسرعة.

ما الذي يجعلني أفسر الأمر هكذا أصلاً؟

أنت لا تملك أي حق رسمي في الغيرة عليّ.

ولستُ أنا شيئاً لك سوى ممرضة تتابع حالة أخيك.

لهذا حاولتُ أن أطرد الفكرة من رأسي، وأن أتعامل مع الأمر كما لو أنه مجرد مزاج سيئ لا أكثر.

لكنكّ طوال الطريق بقيتَ عابسًا بطريقة طفولية تكاد تكون مضحكة.

وحين وصلنا، ونزلتُ من السيارة، بقيتَ تسير إلى جانبي بصمتك نفسه، حتى إنني توقفت أخيرًا أمام باب البيت ونظرتُ إليك مباشرة قائلة:

"ما بك؟" أجبتَ

بسرعة:

"لا شيء".

يا الله...

كم تكذب عيناك حين تقول هذه الجملة .

اقتربتُ منك أكثر، وقلتُ وأنا أضيق عينيّ بشكٍ واضح:

"فارس، أنا أعلم أنك تكذب ، ما الذي أزعجك؟" تنهدتَ

بضيق خفيف وأبعدتَ بصرك عني قبل أن تقول

"قلتُ لا شيء يا نور."

iLovePDF

لكنني كنتُ أعرف وكنتُ أعرف أيضًا أنك لن تعترف مهما سألتك.

لهذا قررتُ أن أجرّب شيئاً آخر.

طوال وجودي في البيت ذلك اليوم، بدأتُ أحكي لكما أنا ويامن مواقف سخيفة حدثت معنا في المشفى؛ عن طبيبٍ نسي نظارته فوق رأسه وظل يبحث عنها نصف ساعة، وعن مريضٍ تشاجر مع الممرضة لأن الحساء "لا يملك مشاعر"، وعن طفلٍ صغير أقنع قسمًا كاملًا من الأطباء أن لديه حساسية من اللون الأخضر فقط لأنه يكره الخضار.

في البداية، بقيتَ صامتاً تحاول مقاومة ابتسامتك.

كنتُ أراك بوضوح.

كلما نظرتُ نحوك، أجدك تحاول إخفاء ضحكتك خلف تلك الملّمح الجدية التي لا تنجح معك أبَدًا.

ثم، أخيرًا... ابتسمتَ.

ابتسامة صغيرة أول الأمر، قبل أن تضحك بخفة رغمًا عنك.

وفي اللحظة التي رأيتُ فيها الضحكة تعود إلى وجهك، شعرتُ براحة غريبة وكأن شيئاً ثقيلًا انسحب من صدري دفعة واحدة.

فضحكتُ أنا أيضًا .

ضحكتُ بالطريقة نفسها التي ضحكتُ بها يوم المطر، بينما كنتَ تنظر إليّ هذه المرة بعينين عاد إليهما ذلك الدفء الذي افتقدته طوال النهار.

عندها فقط، أدركتُ حقيقة أخافتني قليلًا.

أن مزاجك... أصبح قادرًا على تغيير يومي كله دون أن أشعر.

نور

iLovePDF

القدس

إلى نور،

مرّ شهران منذ رأيتكِ للمرة الأولى.

شهران فقط ...

ومع ذلك أشعر أحيانًا وكأنكِ كنتِ موجودة في حياتي منذ زمنٍ أبعد من الذاكرة نفسها .

أحاول كثيرًا أن أتذكر كيف كانت أيامي قبل أن أعرفكِ، فأفشل.

كأنكِ دخلتِ حياتي بهدوءٍ شديد، ثم أعدتِ ترتيب الأشياء داخلي دون أن أشعر .

قبلكِ، كانت الأيام تمرّ متشابهة بصورة مملة؛ أستيقظ، أعمل، أعود إلى البيت، وأقضي الوقت كما يفعل أي رجلٍ اعتاد أن يعيش دون أن ينتظر شيئاً من الحياة.

أما الآن...

فأصبحتُ أنتظر

أنتظر صوتكِ في آخر الممر، وخطواتكِ الخارجة من باب المشفى، وحتى رسائلكِ القصيرة لوالدتي تسألين فيها عن يامن.

أصبحتُ أنتظر وجودكِ كما ينتظر الناس الأشياء التي تمنح أيامهم معنى دون أن يعترفوا بذلك بصوتٍ عالٍ.

الغريب أنكِ لم تفعلي شيئاً استثنائياً كي يحدث كل هذا.

كنتِ فقط... أنتِ.

بهدوئكِ الذي يشبه الطمأنينة، وبعينيكِ اللتين تحملّن ذلك الدفء الغريب الذي يجعل الإنسان يشعر بالأمان حتى وهو متعب، وبقلبكِ الذي يفيض رحمةً دون أن يتباهى بها .

iLovePDF

أحياناً أراقبكِ وأنتِ تتحدثين مع والدتي أو تضحكين مع يامن، فأشعر أن البيت كله يصبح أخفّ بوجودكِ، وكأنكِ تحملين معكِ نورًا خفيًا لا يراه أحد سواي .

حتى الأشياء الصغيرة المرتبطة بكِ أصبحت تعيش داخلي بطريقة لا أفهمها .

أصبحتُ أعرف أي قهوة تفضلين، وأنتبه للطريقة التي ترفعين بها حاجبكِ حين تستغربين شيئاً، وللطريقة التي يلين بها صوتكِ كلما تحدثتِ مع طفلٍ في المشفى .

وأقسم أنني صرتُ أحفظ ضحكتكِ كما يحفظ المرء أغنيته المفضلة .

في البداية، ظننتُ أن ما أشعر به مجرد امتنان؛ لأنكِ أنقذتِ أخي وكنتِ سببًا في عودته سالمًا إلينا لكن الامتنان لا يجعل قلب الرجل يرتبك كلما اقتربت امرأة منه ولا يجعله يبتسم وحده حين يتذكرها في منتصف الليل.

ولا يدفعه لأن يلّحظ لون الربطة التي تضعها في شعرها، أو أن يظلّ عالقًا في ذاكرته شكلها وهي تضحك تحت المطر.

أتعلمين ما أكثر ما يخيفني ؟

أنكِ أصبحتِ جزءًا من يومي بطريقة لم أخطط لها أبدًا .

حين أغضب، أبحث عن صوتكِ كي أهدأ.

وحين أفرح، تكونين أول من يخطر ببالي دون قصد.

حتى القدس نفسها لم تعد كما كانت.

الشوارع التي أمرّ بها صارت تحمل شيئاً منكِ، والمطر يذكرني بكِ، والمشفى الذي كنتُ أكرهه أصبح المكان الوحيد الذي أذهب إليه بلهفة فقط لأنكِ هناك.

لم أكن أؤمن كثيرًا بفكرة أن شخصًا واحدًا يستطيع تغيير حياة إنسان كنتُ أظنها مبالغة كتبها الشعراء لأنهم يملكون وقتاً زائدًا للتفكير .

ثم جئتِ أنتِ...

iLovePDF

وفهمتُ أخيرًا أن بعض الناس لا يغيّرون حياتنا بالأحداث الكبيرة، بل بالتفاصيل الصغيرة التي يتركونها داخل أرواحنا كل يوم.

مرّ شهران فقط يا نور...

لكنني أشعر أن قلبي، منذ اللحظة التي رآكِ فيها قرب تلك النافذة البيضاء في المشفى، لم يعد كما كان أبَدًا.

فارس

iLovePDF

القدس
إلى فارس،

مرّ شهران منذ رأيتك للمرة الأولى.

شهران منذ دخلتَ إلى المشفى مذعورًا على أخيك، تحمل خوفك في عينيك أكثر مما تحمله في كلماتك، وتقف وسط ذلك الضجيج كأنك تحاول أن تبدو قويًا رغم أن القلق كان واضحًا عليك بصورة لا يمكن إخفاؤها.

أتذكر ذلك اليوم جيِّدًا .

أتذكر ملّمحك المتعبة، صوتك المرتبك وأنت تسأل عن يامن، والطريقة التي كنتَ تنظر بها إليه وكأن العالم كله يمكن احتماله ما دام بخير .

وفي الحقيقة...

أظن أن شيئاً ما تغيرّ داخلي منذ تلك اللحظة دون أن أشعر.

في البداية، كنتُ أقنع نفسي أن اهتمامي بك سببه أنك شقيق أحد مرضاي، لا أكثر. ثم بدأتُ ألاحظك أكثر مما ينبغي.

ألاحظ حضورك قبل أن أراك .

أنتبه لصوت خطواتك في الممر حتى وسط ضجيج المشفى، وأعرف أنك وصلت قبل أن تقترب مني.

وذلك... لم يكن طبيعيًا بالنسبة لي.

أنا التي اعتادت أن تمرّ على عشرات الوجوه كل يوم دون أن يعلق أحد منها في قلبها، وجدتُ نفسي أحفظ تفاصيلك الصغيرة بطريقة أخافتني أحيانًا .

أصبحتُ أعرف شكل صمتك حين تكون غاضبًا، والطريقة التي تبتسم بها حين تحاول إخفاء ارتباكك، وحتى نظراتك التي تسبق كلّمك دائمًا وكأن عينيك تقولان أشياء أكثر مما يفعل صوتك.

وأنت...

iLovePDF

أنت يا فارس مختلف بطريقة يصعب شرحها .

فيك شيء من الطمأنينة رغم كل تلك الهيبة التي تحملها ملّمحك. تبدو كرجلٍ قادر على مواجهة العالم كله وحده، ثم تتصرف أحياناً بعفوية تجعلني أراك أقرب إلى قلبٍ طيب يحاول أن يبدو أقسى مما هو عليه.

أحببتُ فيك أشياء كثيرة دون أن أقصد.

أحببتُ غيرتك التي تحاول إنكارها دائمًا، واهتمامك الذي يظهر في أبسط التفاصيل، والطريقة التي تفتح بها باب السيارة لي وكأنني شيء ثمين تخشى عليه من الهواء نفسه.

وأحببتُ أكثر تلك النظرة التي تظهر في عينيك كلما ضحكتُ ...كأنك تكتشف الحياة من جديد كل مرة .

منذ عرفتك، تغيرت أشياء كثيرة داخلي. أصبحتُ أنتظر نهاية دوامي بدل أن أهرب منها، فقط لأنني أعرف أنك ستكون واقفًا هناك قرب سيارتك تنتظرني.

وصرتُ أبحث عنك بعيني بين الناس دون وعي، وأشعر بشيء من الفراغ حين لا أراك يومًا كاملًً. حتى أيامي في المشفى لم تعد كما كانت.

أصبحت أخف ... أدفأ.

وكأن وجودك حولي أخذ شيئاً من تعبي دون أن أشعر.

وأتعلم ما أكثر ما يرعبني ؟

أنني لم أعد أستطيع تخيّلّ أيامي كما كانت قبل أن أعرفك.

كأنك دخلت حياتي بهدوء شديد، ثم جلست في مكانٍ عميق داخل قلبي دون أن أراك تفعل ذلك .

مرّ شهران فقط يا فارس...

لكنني أشعر أنني، منذ اللحظة التي رأيتك فيها تقف بقلقٍ قرب غرفة أخيك، بدأتُ أقترب منك أكثر مما كان ينبغي لي أن أفعل.

iLovePDF

نور

القدس

إلى فارس

لم يكن ذلك المساء يشبه أي مساءٍ مرّ عليّ من قبل.

كنا نسير معًا في شوارع القدس بهدوءٍ غريب، نتحدث أحياناً ونصمت كثيرًا، بينما كانت المدينة تبدو متعبة كعادتها، لكنها مألوفة... آمنة بطريقة ما، ما دمتَ إلى جانبي.

ثم، في لحظة واحدة، تغيّـّر كل شيء .

صوت إطلاق النار شقّ الشارع فجأة كأنه مزّق قلب المدينة نصفين، وتبعه صراخٌ بعيد وضجيج خطواتٍ راكضة، قبل أن يتحول المكان كله إلى فوضى لا تفُهم.

أتذكر فقط أنني ارتجفت.

وأتذكر يدك وهي تمسك بيدي بسرعة وتسحبني نحو إحدى الحارات الضيقة دون أن تتركني للحظة.

كنتَ تتحرك بسرعة، بينما أنا بالكاد أستطيع التقاط أنفاسي من شدة الخوف.

ثم سمعنا صوتاً قريباً، وصراخًا حادًا جعل الدم يتجمد داخلي.

"هناك ممرضة فلسطينية!"

لا أعرف إن كان الخوف وقتها من الأصوات حولنا... أم من الطريقة التي شددتَ بها على يدي فور سماعك الجملة، وكأنك قررت في تلك اللحظة أن العالم كله لن يصل إليّ ما دمتَ حيًّا.

ركضنا أكثر حتى وجدنا بيتاً مهجورًا، بابهُ نصف مكسور، والجدران فيه باردة كأن الحياة غادرته منذ زمن طويل.

iLovePDF

دخلنا بسرعة واختبأنا في إحدى الزوايا المظلمة، بينما كانت أصوات الرصاص والقذائف تقترب أكثر فأكثر.

كنتُ خائفة بطريقة لم أعرفها من قبل.

ليس خوفًا عابرًا يمكن للإنسان أن يهدأ بعده، بل خوفًا حقيقيًا يجعل الروح ترتجف من الداخل.

ولأول مرة منذ عرفتك

... انهرتُ أمامك.

أذكر أنني كنتُ أرتجف بصمت، أحاول عبثاً أن أبدو قوية، لكن يدي كانت باردة وأنفاسي متقطعة بصورة فضحتني تمامًا.

عندها اقتربتَ مني دون كلمة، ثم ضممتني إليك.

شعرتُ بذراعيك تحيطان بي بقوة، وبصدرك القريب من وجهي، بينما كان صوت قلبك واضحًا وسط الفوضى كلها.

ثم همستَ لي بهدوءٍ غريب لا يشبه ما يحدث حولنا :

"وأنتِ بين ذراعيّ... أنتِ بأمان."

يا الله...

كيف استطعتَ أن تجعلني أصدقك رغم أن الموت كان قريبًا منا إلى هذا الحد؟

اختبأتُ داخل حضنك أكثر دون وعي، وكأنني كنتُ أبحث عن مكانٍ أهرب إليه من العالم كله، ولم أجد سوى أنت .

بعد دقائق طويلة بدت كأنها عمر كامل، ابتعدتَ قليلًا عني وقلتَ إنك ستبحث عن ماء لأنني بالكاد أستطيع الكلَم من الخوف.

رفضتُ في البداية أن تبتعد، لكنك ابتسمتَ لي تلك الابتسامة الهادئة التي تطمئنني دائمًا، ثم تحركتَ نحو الجهة الأخرى من الغرفة.

وفي اللحظة التالية...

iLovePDF

اهتز المكان بعنف.

صوت القذيفة كان مرعبًا إلى درجة أنني شعرتُ بالأرض تتحرك تحت قدمي، ثم بدأت الخزانة القديمة القريبة مني تسقط مباشرة باتجاهي.

كل شيء حدث بسرعة مخيفة .

لكنني رأيتك.

رأيتك ترمي نفسك نحوي دون تردد، تدفعني بعيدًا بكل قوتك، ثم تحيطني بذراعيك لتحميني قبل أن يسقط كل شيء فوقك.

صرختُ باسمك بأعلى صوتي.

أقسم أنني لم أشعر في حياتي بذلك الرعب.

كنتُ أحاول الوصول إليك بين الغبار والخشب المتناثر، بينما يدك ما تزال بين يدي كأنك تتمسك بي رغم الألم.

كنتُ أبكي وأقول لك:

"لا تتركني... أرجوك لا تتركني وحدي ".

أما أنت...

فكنتَ تنظر إليّ بعينيك المتعبتين، وكأنك تحاول حفظ ملّمحي للمرة الأخيرة.

ثم قلتَ بصوتٍ متقطع بالكاد خرج:

"أشعر... أن هذه لحظتي الأخيرة ".

صرختُ فيك رافضة كلّمك، لكنك أكملت بصعوبة:

"عليَّ أن أعترف لكِ بشيء ."

اقتربتُ منك أكثر وأنا أبكي، بينما كنتَ تبتسم رغم كل شيء بطريقة كسرت قلبي بالكامل .

ثم قلتها.

"أنا أحبكِ يا نور.

iLovePDF

توقف العالم كله عند تلك الجملة.

شعرتُ بحرارة غريبة تصعد إلى وجهي رغم الرعب، وارتجف قلبي بطريقة لم أعرفها من قبل.

كنتُ أريد أن أقولها فورًا أقسم أنني أردت .

لكن الخوف... والصدمة... وكل شيء حولنا شلّ صوتي.

وحين طلبتَ مني أن أرد، بقيتُ عاجزة .

قلتَ لي بصوتٍ أضعف:

"ردّي عليّ... أرجوكِ."

لكنني لم أستطع ثم بدأت عيناك تغُلقان ببطء .

وهنا فقط...

انهار شيء داخلي بالكامل.

صرختُ باسمك بأعلى صوتي، وأنا أمسك وجهك بين يدي وأبكي بطريقة لم أعرفها من قبل:

"وأنا أحبك! أنا أحبك يا فارس! فارس... أرجوك... لا تغمض عينيك ...فارس! "

كنتُ أكررها بجنون، وكأن الحب وحده قادر على إبقائك حياً.

وفي تلك اللحظة...

أدركتُ أنني، منذ وقتٍ طويل، لم أعد أخاف الموت نفسه...

بقدر خوفي من أن يأخذك مني .

نور

iLovePDF

القدس

إلى نور،

لا أذكر الكثير من تلك الليلة بوضوحٍ كامل.

كل شيء كان مختلطًا؛ أصوات القذائف، الغبار، الألم الذي اجتاح جسدي دفعة واحدة، والظلَم الذي بدأ يقترب مني ببطءٍ مخيف .

لكن الشيء الوحيد الذي بقي واضحًا وسط كل ذلك...

كان صوتكِ.

صوتكِ وأنتِ تناديننني بانهيارٍ لم أسمعه منكِ من قبل. أتذكر أنني، حين دفعتكِ بعيدًا عن الخزانة، لم أفكر بشيء.

أقسم أن الأمر لم يحتج حتى ثانية واحدة من التردد.

كل ما عرفته في تلك اللحظة أنني مستعد لأن يسقط العالم كله فوقي، ما دمتِ ستبقين بخير .

وحين شعرتُ بالألم يضرب صدري بقوة، وحاولتُ أن أفتح عيني بصعوبة، رأيتكِ تبكين .

ولأول مرة منذ عرفتكِ...

بدوتِ ضعيفة.

أنتِ التي كنتِ دائمًا أقوى من خوفكِ، وأكثر هدوءًا من الفوضى حولكِ، كنتِ ترتجفين بين يديّ كطفلة خائفة من خسارة الشيء الوحيد الذي يطمئنها.

كم تمنيتُ وقتها أن أستطيع ضمكِ بدلاً من أن أجعلكِ تبكين بهذه الطريقة.

حين قلتُ لكِ إنني أحبكِ، لم أقلها لأنني ظننتُ أن الموت يجعل الاعتراف أسهل .

بل لأن الحقيقة، في تلك اللحظة تحديًدًا، أصبحت أكبر من قدرتي على إخفائها.

iLovePDF

كنتُ خائفًا .

ليس من الموت .

بل من أن أغادر هذه الدنيا قبل أن تعرفي كم أحببتكِ .

قبل أن تعرفي أن الرجل الذي كنتِ ترينه قويًا طوال الوقت، كان يضعف كلما ابتسمتِ له.

وأن قلبه، منذ رآكِ قرب تلك النافذة البيضاء في المشفى، لم يعد ملكه كما كان.

وحين طلبتُ منكِ أن تردّي عليّ، كنتُ أظن أنني ربما لن أسمع شيئاً .

ثم سمعتكِ.

"وأنا أحبك" .

أقسم لكِ أنني، رغم الألم، شعرتُ وقتها أن الحياة عادت إليّ دفعة واحدة.

كان صوتكِ مرتجفًا ومكسورًا من البكاء، لكنه كان أجمل شيء سمعته في حياتي كلها.

كنتِ تصرخين باسمي كأنكِ تحاولين إبقائي حيًّا بصوتكِ فقط، وأنا، رغم تعبي، كنتُ أبتسم.

لأنني أدركتُ أخيرًا أنني لم أكن وحدي في هذا الحب.

شعرت بيدكِ وهي تمسك بوجهي، ودموعكِ التي كانت تسقط فوقي بحرارة، ونظرتكِ التي كانت مليئة بذلك الرعب الذي لا يظهر إلا حين يخاف الإنسان على من يحب.

وفي تلك اللحظة تحديدًا...

لم أعد أشعر بالخوف.

كيف أخاف وأنا أسمع الفتاة التي أحبها تخبرني للمرة الأولى أنها تحبني

؟ حتى الموت نفسه بدا بعيدًا عني وقتها.

iLovePDF

كنتُ أريد فقط أن أفتح عيني أكثر، أن ألمس وجهكِ، وأن أقول لكِ إنني باقٍ هنا، وإنني لن أتركَكِ مهما حدث.

لكنني كنتُ أضعف من أن أفعل.

كل ما استطعتُ فعله هو أن أشد على يدكِ قليلًا، وكأنني أعدكِ بصمت أنني سأعود إليكِ مهما ابعدتني العتمة.

وحين أفقتُ بعد ذلك، وأول ما رأيته كان وجهكِ قرب سريري في المشفى ...

فهمتُ أن الإنسان قد ينجو أحيانًا لا بسبب الأطباء، ولا بسبب الحظ ... بل

لأن قلبًا ما في مكانٍ قريب كان يرفض أن يتركه يرحل.

فارس

iLovePDF

القدس

إلى نور،

حين فتحتُ عيني أخيرًا، كان كل شيء ضبابياً في البداية .

الأضواء البيضاء فوقي، رائحة الدواء، وصوت الأجهزة القريب...
احتجتُ لثوانٍ طويلة حتى أفهم أنني ما زلت حيًّا .

ثم بدأتُ أرى الوجوه بوضوحٍ أكبر.

كانت أمي تجلس قرب السرير وعيناها ممتلئتان بخوفٍ لم تستطع إخفاءه مهما حاولت، بينما وقف يامن بجانبها صامتاً على غير عادته، وكأن القلق سحب منه كل الكلمات التي يملكها .

وحين لاحظا أنني استيقظت، شعرتُ بالراحة تنهار فوق وجهيهما دفعة واحدة .

أمي أمسكت يدي بسرعة وكأنها تتأكد أنني ما زلت هنا فعلًً، أما يامن فتنهد طويلًً ثم قال وهو يحاول إخفاء ارتجاف صوته :

"أقسم أنك أرهبتنا يا رجل".

كنتُ سأجيب، لكن باب الغرفة فتُح فجأة.

ودخلتِ أنتِ.

كنتِ تركضين تقريباً، وعيناكِ مليئتان بذلك القلق الذي لم أرَه في حياتي كلها إلا تلك الليلة بين ذراعيّ.

توقفتِ فور أن رأيتِني مستيقظًا .

بقيتِ تحدقين بي لثوانٍ، كأنكِ لا تصدقين أنني بخير فعلًً، ثم اقتربتِ بسرعة وسألتِ بصوتٍ متوتر:

"كيف تشعر الآن؟ هل يؤلمك شيء؟

" ابتسمتُ رغم التعب وقلتُ بهدوء:

iLovePDF

“أنا بخير” .

وفي اللحظة التي سمعتِ فيها الجملة...

تغيرّ وجهكِ كله.

عاد ذلك الدفء إلى ملّمحكِ، وانفكت تلك العقدة الصغيرة بين حاجبيكِ، ثم أغمضتِ عينيكِ للحظة قصيرة كأنكِ تشكرين الله بصمت.

بعدها ابتسمتِ لي أخيرًا وقلتِ بهمسٍ خافت:

“الحمد لله على سلّمتك ”.

ثم خرجتِ من الغرفة بسرعة.

وكأنكِ خفتِ أن يرى أحدهم كل ذلك الحب الذي كان واضحًا في عينيكِ .

أما أنا...

فبقيتُ أحدق في الباب بعد خروجكِ وأبتسم كالأحمق.

لأنكِ لا تعلمين أنني سمعت كل شيء تلك الليلة.

سمعتُ اعترافكِ كاملً.

سمعتُ خوفكِ عليّ، وبكاءكِ، والطريقة التي كنتِ تصرخين بها باسمي كأن روحكِ كلها كانت معلقة بي.

ومنذ تلك اللحظة، وأنا أشعر أن قلبي لم يعد قادرًا على العودة لما كان عليه أبَدًا.

بعد ساعات، خرجت أمي ويامن ليحضرا بعض أغراضي من البيت ،وبقيتِ أنتِ معي وحدنا في الغرفة للمرة الأولى منذ استيقظت.

كنتِ تجلسين قرب النافذة ترتبين بعض الملفات الطبية بهدوء، بينما كان الضوء يتسلل فوق وجهكِ بطريقة جعلتكِ تبدين أكثر نعومة من المعتاد.

أقسم أنني، حتى وأنا مصاب، كنتُ أفكر فقط كم أنتِ جميلة.

جميلة بصورة تربك القلب فعلً.

iLovePDF

شعركِ الداكن المنسدل فوق كتفيكِ، عيناكِ اللتان تحملّن دائمًا ذلك البريق الدافئ، وحتى طريقة جلوسكِ الهادئة... كلها كانت تجعلني أنسى الألم للحظات.

ظللتُ أراقبكِ بصمت حتى شعرتِ بنظراتي أخيرًا، فرفعتِ رأسكِ نحوي باستغراب:

"ما بك؟"

ابتسمتُ بخفة وقلتُ:

"هل يمكنكِ أن تعيديها مرة أخرى؟"

عقدتِ حاجبيكِ بعدم فهم:

"أعيد ماذا؟"

نظرتُ إليكِ طويلًا قبل أن أقول:

"ما قلتِه البارحة ."

اتسعت عيناكِ فورًا، وظهر الارتباك فوق وجهكِ بسرعة جعلتني أرغب في الضحك .

قلتِ بسرعة:

"أنا لم أقل شيئاً ."

ضحكتُ بخفة رغم الألم وقلتُ:

"لا تنكري يا نور... لقد سمعتكِ."

أشحتِ بنظركِ عني فورًا، بينما بدأتِ ملّمحكِ تحمر بطريقة جعلتكِ تبدين ألطف من أن يحتمل قلبي ذلك.

ثم تمتمتِ محاولة الهرب:

"أنت لا تسمع جيداً... نظّف أذنيك أولاً قبل أن تسمع أشياء لم أقلها."

يا الله...

iLovePDF

حتى ارتباكِكِ كان جميلاً.

اقتربتُ منكِ بعيني أكثر، ثم قلتُ بهدوءٍ هذه المرة، دون مزاح:

"لكنني أحبكِ فعلاً."

رفعتِ عينيكِ نحوي للحظة قصيرة فقط.

لحظة واحدة ...

كانت كافية لأرى كل شيء داخلها؛ الخجل، الارتباك، الحب الذي تحاولين الهرب منه، وذلك الضعف الجميل الذي لا يظهر منكِ إلا معي.

ثم، دون أن تقولي كلمة واحدة، هربتِ من الغرفة بسرعة.

أما أنا... فبقيتُ أبتسم وحدي كأنني أكثر رجلٍ محظوظ في

هذه الحياة.

وأفكر ...

كيف استطاعت امرأة واحدة أن تجعل حتى غرف المشافي تبدو دافئة لمجرد أنها مرت منها.

فارس

iLovePDF

القدس

إلى فارس

منذ تلك الليلة، لم يعد شيء بيننا كما كان.

حتى الصمت تغيّـّر.

أصبح أخفّ، أكثر دفئاً، وكأنه ممتلئ بكلماتٍ لا نحتاج إلى قولها لأن قلوبنا قالتها مسبقًا .

كنتُ أدخل غرفتك كل يوم بعد اعترافنا، فأشعر أنني شخص آخر غير تلك الممرضة الهادئة التي عرفتها أول مرة .

أصبحتُ أتوتر من نظراتك، وأرتب شعري أكثر من مرة قبل أن أدخل عليك، وأرتبك كلما ناديتني بصوتك الهادئ وكأن اسمي صار مختلفًا حين يخرج منك.

أما أنت...

فكنتَ تنظر إليّ بطريقة تجعلني أشعر أنني الشيء الوحيد الذي تراه في المكان كله.

وفي تلك الليلة تحديدًا، بقيتُ في المشفى بعد انتهاء دوامي.

لا أعرف لماذا عدتُ إلى غرفتك مرة أخرى رغم أنني كنتُ قد اطمأننت عليك قبل ساعات.

ربما لأن قلبي لم يعد يهدأ بعيدًا عنك كما كان سابقًا .

حين دخلت، كانت الغرفة شبه مظلمة، يضيئها ضوء خافت قرب سريرك فقط، بينما كنتَ مستيقظًا تنظر نحو النافذة بصمت.

التفتَّ إليّ فور سماعك صوت الباب، وما إن رأيتني حتى ابتسمت.

تلك الابتسامة وحدها كانت كافية لتربك قلبي كاملًً.

اقتربتُ منك بهدوء وسألتك إن كنت بحاجة إلى شيء، فنفيت وأنت ما تزال تنظر إليّ بنفس الطريقة التي تجعلني أنسى ما كنتُ سأقوله.

iLovePDF

جلستُ قربك بعدها بصمت.

وكان الصمت بيننا جميلاً بصورة أخافتني .

لا صوت سوى أنفاسنا الخافتة، وضجيج بعيد يأتي من ممرات المشفى، بينما كنتُ أشعر بنظراتك تحوطني طوال الوقت.

ثم قلتَ فجأة بصوتٍ هادئ:

"تعالي هنا" .

رفعتُ بصري إليك باستغراب خفيف، لكنك فتحتَ ذراعك نحوي ببطء، وكأنك تدعوني إلى مكانٍ أعرفه منذ زمن.

ارتبكتُ.

أقسم أن قلبي بدأ يخفق بطريقة أحرجتني من نفسي.

لكنني اقتربت.

ببطءٍ شديد... وخوفٍ أكبر .

وحين جلستُ قربك أكثر، سحبتني إليك برفق حتى أصبحتُ داخل حضنك.

لا أعرف كيف أصف تلك اللحظة.

شعرتُ وكأن العالم كله اختفى دفعة واحدة، ولم يبقَ سوى صوت قلبك تحت خدي، وذراعيك حولي، وذلك الأمان الغريب الذي غمرني لأول مرة في حياتي بهذا الشكل .

كنتَ دافئاً بصورة جعلتني أرخي كل خوفي دفعة واحدة.

حتى أنفاسي أصبحت أهدأ.

أما أنت، فكنتَ تضمّني بحذرٍ شديد، كأنني شيء تخشى أن ينكسر بين يديك.

أغمضتُ عيني للحظة دون وعي، وشعرتُ بيدك تمرّ ببطء فوق شعري بطريقة جعلت جسدي كله يرتجف بخفة.

iLovePDF

ولأول مرة ...

لم أشعر بالخجل من قربك بل شعرتُ أنني في المكان الصحيح تمامًا .

ثم سمعتُ صوتك فوق رأسي، منخفضًا ودافئاً بصورة أذابت قلبي بالكامل:

"أقسم أنني منذ عرفتكِ... لم أعد أعرف كيف كانت الحياة قبلك ."

رفعتُ وجهي نحوك ببطء كنتَ قريبًا جدًا هذه المرة ... قريبًا إلى درجة أنني استطعت رؤية التعب الخفيف تحت عينيك، والدفء داخلهما ،والطريقة التي كنتَ تنظر بها إليّ وكأنك تخشى أن أختفي لو أبعدتَ نظرك ثانية واحدة.

وأنا...

كنتُ أنظر إليك وكأنني أحبك منذ عمر كامل، لا منذ شهرين فقط.

ابتسمتُ لك بخجلٍ صغير، ثم أخفيتُ وجهي في صدرك مرة أخرى لأنني لم أحتمل الطريقة التي كنتَ تنظر بها إليّ .

فضحكتَ بخفة، وشددتَ ذراعيك حولي أكثر.

وفي تلك اللحظة تحديًدًا...

أدركتُ أن الإنسان قد يبحث عمرًا كاملًً عن الشعور بالأمان، ثم يجده فجأة بين ذراعي شخصٍ واحد فقط.

نور

iLovePDF

القدس
إلى فارس

ذلك اليوم كان هادئاً بصورة غريبة، وكأن المشفى نفسه قرر أن يمنحنا استراحة صغيرة بعد كل ما مررنا به.

دخل الطبيب غرفتك صباحًا، وبعد أن اطمأن على وضعك، ابتسم قائلًً لوالدتك:

"أخرجوه قليلًً إلى الحديقة... الهواء سيفيده أكثر من هذه

الجدران." ومنذ تلك اللحظة، بدا يامن متحمسًا أكثر منك أنت.

كان يساعدك في الجلوس على الكرسي بعناية، بينما يشتكي كل دقيقة وكأنه هو المصاب لا أنت، وأنت ترد عليه بسخريتك المعتادة حتى امتلأت الغرفة بضحكات خفيفة افتقدناها منذ وقت طويل ... وحين اقتربتُ منكما، نظرتُ إلى يامن بجدية وقلتُ:

"أنت تحديًدًا يجب أن ترتاح، حركتك الكثيرة قد تؤذي إصابتك" .

رفع يديه باستسلًم مبالغ فيه وقال:

"امرك ... أنا ذاهب لأرتاح ، خذيه أنتِ واذهبا ."

ثم نظر بيني وبينك تلك النظرة الماكرة التي أصبحت أخشاها منه، قبل أن يغمز لك بخبث واضح.

أما أنت، فحاولتَ أن تضربه بيدك وأنت تتمتم:

"اصمت يا أحمق".

فضحك بصوتٍ عالٍ وغادر أخيرًا، بينما بقيتُ أنا واقفة قربك أحاول إخفاء ارتباكي وكأن شيئاً لم يحدث.

أخذتُ الكرسي بعدها وبدأتُ أدفعك نحو الحديقة الخارجية للمشفى.

iLovePDF

كان النهار دافئاً، والهواء يحمل رائحة أشجار رطبة بعد مطر الليل، بينما كانت الشمس خفيفة على غير عادتها، كأنها تخشى أن تزعج هدوء تلك اللحظة.

أما أنت...

فكنتَ تنظر إليّ طوال الطريق.

أشعر بذلك حتى دون أن أراك .

وكلما التفتُّ نحوك، أجد عينيك معلقتين بي بطريقة تجعل قلبي ينسى كيف يحافظ على هدوئه.

وحين وصلنا إلى الحديقة، توقفتُ قرب شجيرات الورد الممتدة على أطراف الممر.

كانت هناك وردة بيضاء صغيرة، مختلفة عن البقية بطريقة ما.

هادئة... وناعمة... وتشبه شعورًا لا أعرف كيف أصفه .

قطفتهُا ببطء، ثم استدرتُ نحوك.

لا أعلم كيف امتلكت الجرأة وقتها لكنني مددتُ يدي إليك بالوردة وأنا أحاول إخفاء خجلي وقلتُ بهدوءٍ مرتبك:

"هذه لك ".

رفعتَ عينيك نحوي بدهشة صغيرة، ثم أخذتها مني وكأنني أعطيتك شيئاً أثمن من وردة .

وكانت الطريقة التي نظرتَ بها إليّ وقتها كافية لتجعل وجهي كله يحترق خجلًا.

كم كان منظر عينيك جميلًا في تلك اللحظة.

كنتَ تبتسم بهدوء، بينما تحمل الوردة بين أصابعك بحذرٍ غريب، كأنها شيء تخشى أن ينكسر.

ثم قلتَ بصوتك الدافئ:

iLovePDF

“أقسم أن هذه أجمل وردة رأيتها في حياتي”.

عرفتُ فورًا أنك لا تتحدث عن الوردة.

ولهذا خفضتُ بصري بسرعة لأن قلبي لم يحتمل الطريقة التي كنتَ تنظر بها إليّ.

لكن لحظتنا الجميلة لم تدم طويلًا.

لأن صوتاً مألوفًا خرج فجأة من خلفنا قائلًا :

“ لقد كشفتكما كنت أعلم هذا منذ زمن... لكنني لم أكن متأكّدًا والآن تأكدت”.

التفتُّ بسرعة لأجد يامن يقف خلفنا بابتسامته المستفزة المعتادة.

شهقتُ بخجل، بينما حاولتَ أنت إسكاتهَ فورًا:

“يامن، سأقتلك” .

لكنه، كعادته، لم يصمت اقترب أكثر وهو يضحك وقال:

“والله إنكما ثنائي جميل”.

أقسم أنني شعرتُ وقتها أن وجهي كله احمرّ دفعة واحدة. لم أعرف أين أنظر، ولا ماذا أقول، بينما كنتَ أنت تضحك بخجل وتحاول طرده بعيدًا.

أما أنا... فلم أحتمل كل ذلك الارتباك.

انتزعتُ الوردة بسرعة من يدك، وبدأتُ أعبث بها بتوتر حتى تمزقت بين أصابعي دون أن أشعر، ثم استدرتُ وغادرتُ المكان بسرعة وأنا أسمع ضحكات يامن خلفي.

لكن الحقيقة التي لن أعترف بها أمام أحد...

أنني، طوال ذلك اليوم، كنتُ أبتسم كلما تذكرتُ كيف نظرتَ إلى تلك الوردة... وكأنها أنا.

نور.

iLovePDF

القدس

إلى نور،

منذ أن أعادني يامن إلى غرفتي بعد نزهتنا الأخيرة في الحديقة، وأنا أشعر أن شيئاً ما تغيرّ فجأة.

في ذلك اليوم، كنتِ قريبة مني بصورة جعلت قلبي يعتاد وجودك أكثر مما ينبغي.

ضحكتكِ، ارتباككِ، الوردة البيضاء التي وضعتها في يدي، وحتى الطريقة التي هربتِ بها خجلًا بعد كلمات يامن... كلها بقيت عالقة داخلي بطريقة لم تتركني أهدأ بعدها .

ولهذا، في اليوم التالي، انتظرتكِ .

لكنكِ لم تأتِ.

وفي اليوم الذي بعده أيضًا... لم تأتِ.

ثم بدأت ممرضة أخرى تدخل بدلاً منكِ، تحمل الدواء وتسألني إن كنتُ بخير، بينما أنا أنظر إليها بانزعاجٍ سخيف لأنها ليست أنتِ.

لا أحد يشبهكِ يا نور.

حتى الغرفة دونكِ تصبح باردة أكثر مما ينبغي.

وفي اليوم الثالث، بدأ يامن يسخر مني كلما رآني أحدق نحو الباب.

قال وهو يضحك:

"أقسم أنك تنظر إلى الباب أكثر مما تنظر إليّ."

فانفجرتُ فيه دون سبب حقيقي.

كنتُ متوترًا، غاضباً، مشتاقًا لكِ بصورة أرهقتني، وكل ذلك خرج دفعة واحدة في وجهه .

iLovePDF

تشاجرنا فعلًا، حتى دخلت أمي إلى الغرفة بعدما سمعت صوتنا المرتفع.

نظرت إلينا باستغراب، ثم سألتني:

"ما بك يا فارس؟"

وقبل أن أجيب، سبقني يامن كعادته وقال:

"نور لم تعد تأتي، ولهذا هو يتصرف كالمجنون".

أردتُ خنقه في تلك اللحظة.

أما أمي، فابتسمت تلك الابتسامة الهادئة التي تعرف بها كل شيء، ثم قالت:

"حين تتعافى تمامًا...سنذهب لخطبتها لك."

أقسم أنني شعرتُ وقتها أن قلبي توقف للحظة.

ثم أكملت وهي تبتسم:

"الفتاة طيبة، ووجهها مريح، وكانت معنا بكل الظروف عدا عن أنها جميلة وفيها من الدفئ والحنان ما يريح القلب والنفس" ولا أخفيكِ...

أنني منذ تلك اللحظة بدأتُ أتخيلكِ معنا دائمًا .

في بيتنا.

قرب أمي .

تضحكين مع يامن.

وتملئين المكان بذلك الدفء الذي يشبهكِ.

مرّ يوم... ثم يومان... ثم أسبوع كامل.

أسبوع وأنا لا أراكِ ولا أسمع صوتكِ.

ولا حتى ألمح ظلكِ في الممرات.

وفي ذلك اليوم، لم أعد أحتمل أكثر .

iLovePDF

كانت الغرفة فارغة، وأمي خرجت مع يامن إلى الحديقة، بينما ترُكتُ وحدي مع هذا الاشتياق الذي صار أثقل من قدرتي على الصبر.

فنظرتُ إلى العكاز طويلاً، ثم حملته.

خرجتُ من الغرفة ببطء، أستند على الجدار وعلى عنادي أكثر من قدمي.

كنتُ أبحث عنكِ كالمجنون فعلاً.

مررتُ قرب غرف المرضى، وقرب النافذة التي رأيتكِ عندها أول مرة، وحتى الحديقة الصغيرة التي أعطيتنِي فيها تلك الوردة البيضاء .

لكنني لم أجدكِ وكلما مرّت دقيقة دون أن أراكِ، شعرتُ أن شيئاً داخلي يختنق أكثر حتى وصلتُ أخيرًا إلى مدخل المشفى.

كانت خطواتي أضعف من أن تحملني أكثر، وسقط العكاز فجأة من يدي، وشعرتُ بجسدي يميل ليسقط.

لكن قبل أن أرتطم بالأرض...

وصلتِ أنتِ.

أمسكتِ بي بسرعة ولهفة، وكأن قلبكِ سقط قبلي كانت يداكِ ترتجفان حولي وأنتِ تقولين بقلقٍ واضح :

"فارس! ماذا تفعل خارج غرفتك؟ ولماذا خرجت وحدك؟!

" أما أنا...

فلم أستطع التفكير بأي شيء سوى أنكِ أخيرًا هنا.

نظرتُ إليكِ طويلاً، كأنني أحاول تعويض أسبوع كامل من الغياب بعيني فقط، ثم قلتُ بصوتٍ متعب وصادق أكثر مما ينبغي :

"كنتُ أبحث عنكِ."

فارس.

iLovePDF

القدس

إلى فارس،

لا أظن أن قلبي سيغفر لك بسهولة ما فعلته بي ذلك اليوم .

حين أمسكتُ بك قبل أن تسقط، شعرتُ للحظة أن روحي كلها ارتجفت دفعة واحدة .

كنتَ متعبًا بصورة أخافتني، شاحب الوجه، تتنفس بصعوبة، ومع ذلك كنتَ تنظر إليّ وكأنك وجدت شيئاً ضائعًا منذ زمن.

وحين قلتَ إنك كنتَ تبحث عني...

كرهتُ قلبي لأنه خفق بتلك القوة.

أخذتكُ إلى غرفتك بسرعة وأنا أحاول أن أبدو غاضبة بدل أن أبدو خائفة عليك.

كنتُ أسندك بيدي، بينما خطواتك متعبة وثقيلة، وكل خطوة منك كانت تزيد قلقي أكثر.

وحين أوصلتكُ إلى السرير أخيرًا، التفتُّ إليك وقلتُ بجدية حاولتُ أن أجعلها قاسية:

"لا تخرج من الغرفة مرة أخرى وحدك، مفهوم؟"

كنتَ تنظر إليّ بصمت، كطفلٍ يعرف أنه أخطأ لكنه لا يشعر بالندم .

أما أنا، فأكملتُ وأنا أعقد ذراعيّ بانزعاج :

"وسأعطي تنبيهًا لوالدتك أيضًا... لا يجب أن يتركوك وحدك أبَدًا ".

ثم حملتُ ملفاتي بسرعة حتى أهرب قبل أن ترى كم كنتُ خائفة عليك فعلًا.

iLovePDF

لكن قبل أن أصل إلى الباب...

ناديتني.

"نور".

توقفتُ فورًا.

لا أعرف لماذا يفقدني صوتك قدرتي على المقاومة بهذه السهولة .

استدرتُ ببطء ونظرتُ إليك .

كنتَ ما تزال متعبًا، لكن عينيكِ...

كانت فيهما تلك النظرة التي تجعلني أنسى أي شيء آخر حولي .

ثم قلتَ بهدوءٍ أربكني بالكامل:

"أقسم لكِ أنني أحبك."

شعرتُ بحرارة تصعد إلى وجهي فورًا.

لكنكّ أكملت قبل أن أهرب:

"ولا أستطيع بدونكِ... فلً تعودي وتتركيني هكذا مرة أخرى."

وأنا أقسم أن قلبي وقتها أصبح أضعف من أن يقاومك. ابتسمتُ دون إرادة مني، تلك الابتسامة الصغيرة التي تظهر دائمًا حين تتحدث معي بهذا الصدق الذي يهزم كل دفاعاتي.

وكدتُ أقول شيئاً...

أي شيء.

لكنني تذكرتُ نفسي فجأة، وتذكرتُ أنني إن بقيتُ هناك ثانية إضافية فسأذوب تمامًا أمامك.

لهذا هربت .

أغلقتُ الباب بسرعة وخرجتُ إلى الممر بينما قلبي يضرب صدري بجنون.

iLovePDF

وحين رفعتُ رأسي، رأيتُ والدتك تقف هناك.

كانت تنظر إليّ بابتسامة هادئة وكأنها سمعت نصف الحديث وفهمت نصفه الآخر دون أن يُقال.

اقتربتُ منها بسرعة وقلتُ محاولةً تغيير الموضوع:

"لا تتركوه وحده بعد الآن، خروجه من الغرفة بهذه الحالة قد يؤذيه ...يجب أن يبقى معه أحد دائمًا." ابتسمت لي بحنان ثم قالت:

"هل يمكننا أن نتعبكِ وتبقيَ معه أحيانًا حين نخرج؟" ارتبكتُ فورًا وقلتُ بسرعة:

"حسب وقتي... إذا لم يكن لدي عمل فلً مشكلة".

كنتُ أحاول الهرب من الحديث بأي طريقة .

لكنها أمسكت يدي بلطفٍ مفاجئ، ثم قالت بصوتٍ دافئ يشبه الأمهات اللواتي يعرفن كيف يربتن على القلب:

"يا ابنتي... أنا منذ رأيتكِ أول مرة أحببتكِ ."

أخفضتُ بصري فورًا من شدة الخجل، لكنها أكملت بابتسامتها الحنونة :

"ومنذ صرتِ تأتين إلى بيتنا وتهتمين بيامن، أحببتكِ أكثر ." ثم

نظرت إليّ بطريقة جعلت قلبي يرتجف فعلًً وهي تقول:

"وكما أن فارس يريدكِ... فأنا أيضًا أريدكِ حلًلاً لابني."

أقسم أن أنفاسي توقفت للحظة لم أعرف ماذا أقول كنتُ فقط أنظر إليها بخجلٍ وقلبي يضطرب بطريقة لم أعرفها من قبل.

ثم قالت بهدوء:

"إذا أعطيتنِي عنوان بيتكم... أريد أن أزور أهلك."

شعرتُ وقتها أن الدنيا كلها أصبحت أخفّ فجأة. وكأن

شيئاً داخلياً كان خائفًا طوال الوقت من ألا أكون مرغوبة

iLovePDF

في عالمكم، ثم جاءت كلماتها لتزيل ذلك الخوف كله دفعة واحدة .

ابتسمتُ بخجلٍ شديد وقلتُ بصوتٍ منخفض:

“سأفكر... وأخبركِ.“

لكن الحقيقة التي لم أقلها لها...

أن قلبي، منذ تلك اللحظة، بدأ يتصرف وكأنه أصبح جزءًا منكم فعلًا.

نور

iLovePDF

القدس

إلى فارس

في اليوم التالي، دخلتُ غرفتك وأنا أحاول أن أبدو هادئة أكثر مما كنتُ عليه فعلًا.

لكن الحقيقة أنني، منذ حديث والدتك معي البارحة، لم أستطع النوم كما يجب.

كلما أغمضتُ عيني، كنتُ أتذكر كلماتها، وطريقتها وهي تقول إنها تريدني "حلًّلاً لك" فأشعر بشيء دافئ يتمدد داخلي بطريقة لم أعرفها من قبل.

وحين وصلتُ إلى باب غرفتك صباحًا، كان قلبي يخفق بسرعة سخيفة فقط لأنني سأراك.

كنتُ أحمل بيدي رسالة صغيرة أعطتني إياها والدتك قبل قليل، وطلبت مني أن أعطيها إياها بعد أن تنتهي من زيارة الطبيب في الطابق الآخر.

وحين دخلت، رفعتَ رأسك فورًا نحوي.

لا أعرف لماذا تنظر إليّ دائمًا وكأنك كنت تنتظرني منذ سنوات لا منذ ساعات فقط.

ابتسمتَ لي مباشرة، تلك الابتسامة الهادئة التي تجعل كل شيء داخلي يلين دون مقاومة، بينما اقتربتُ منك وقلت:

"صباح الخير" .

أجبتني بصوتك الدافئ:

"صباح الأشياء الجميلة كلها".

شعرت أن وجهي احترق فورًا.

iLovePDF

تظاهرتُ بأنني لم أسمع جيدًا، ثم مددتُ الرسالة نحوك، لكنك أخذتها بسرعة وبدأت تفتحها.

فضربتُ يدك فورًا وقلتُ باعتراض :

"هذه ليست لك! "

رفعتَ حاجبيك بدهشة مضحكة:

"إذًا لمن؟"

أجبتُ وأنا أحاول كتم ضحكتي:

"لوالدتك".

ضحكتَ بخفة ثم وضعتها جانبًا باستسلام، بينما بقيتُ أنا أرتب بعض الأشياء قربك كي أخفي ارتباكي.

بعدها سألتكُ بهدوء:

"كيف أصبحت اليوم؟"

قلتَ إنك أفضل، ثم بدأنا نتحدث كعادتنا .

عن أشياء بسيطة جِدًا... لكنها تصبح جميلة فقط لأنني أتكلم معك .

كنتَ تضحكني بين كل جملة وأخرى، وأنا أحاول عبثاً أن أبدو أكثر هدوءًا مما أنا عليه، لكنك دائمًا كنت تكتشف ارتباكي بسهولة مخيفة.

مرّ الوقت سريعًا دون أن أشعر، حتى تذكرتُ أخيرًا أن لدي عملًا في الطابق الآخر.

فنظرتُ إليك وقلت:

"يجب أن أذهب الآن... سأراك مساءً."

ابتسمتَ لي بهدوء.

وتلك الابتسامة وحدها كانت كافية لتربك قلبي كعادتها.

iLovePDF

استدرتُ بعدها لأخرج من الغرفة، لكن قبل أن أبتعد عن السرير ...

شعرتُ بيدك تمسك يدي برفق.

توقفتُ فورًا.

التفتُّ إليك ببطء، بينما كنتَ تنظر إليّ بطريقة جعلت أنفاسي تتعثر داخلي.

ثم قلتَ بصوتٍ منخفض ودافئ:

"أحبكِ."

يا الله ... كيف تستطيع قولها بهذه البساطة بينما أنا في كل مرة أسمعها منك أشعر أن قلبي يذوب بالكامل؟

وقبل أن أستوعب شيئاً، سحبتَ يدي نحوك ببطء... ثم طبعتَ قبلة خفيفة فوقها .

شعرتُ وكأن العالم كله توقف في تلك اللحظة.

كانت قبلة قصيرة جِدًا...

لكنها وصلت إلى قلبي بطريقة أخافتني من شدتها.

رفعتُ عيني إليك بسرعة، بينما كنتَ ما تزال ممسكًا بيدي وتنظر إليّ بابتسامتك الهادئة تلك، وكأنك تعرف تمامًا ما الذي فعلته بي الآن.

أما أنا...

فلم أستطع قول أي شيء.

سحبتُ يدي بسرعة بخجلٍ يكاد يقتلني، ثم خرجتُ من الغرفة هاربة قبل أن ترى كيف أصبحتُ حرفيًا غير قادرة على التنفس بشكل طبيعي .

وحين أغلقتُ الباب خلفي، بقيتُ أمشي في الممر وأنا أحدق بالمكان الذي قبّلتني فيه.

ألمسه بأصابعي أحيانًا دون وعي، ثم أبتسم كحمقاء وحدي

وكنت طوال ذلك اليوم ...

iLovePDF

أشعر أن يدك ما تزال حول يدي حتى بعد أن تركتها.

نور

القدس

إلى نور،

في اليوم الذي أخبرني فيه الطبيب أنني أستطيع أخيرًا مغادرة المشفى، شعرتُ أنني أتنفس للمرة الأولى منذ وقت طويل.

لم تكن الجدران البيضاء تزعجني بقدر ما كان يزعجني أنكِ لن تكوني هناك كل يوم كما اعتدت .

حتى فكرة أنني سأستيقظ صباحًا دون أن أسمع صوتكِ قرب الباب، كانت تجعل فرحتي ناقصة بطريقة غريبة.

لكنني خرجت أخيرًا.

عدتُ إلى البيت، إلى غرفتي، إلى رائحة القهوة التي تصنعها أمي صباحًا، وإلى سخرية يامن التي لم تتغير رغم كل ما مررنا به.

ومع ذلك ...

بقي شيء داخلي معلّقًا في ذلك المشفى.

معلّقًا بكِ أنتِ تحديدًا.

مرّ عدة أيام بعد عودتي، وفي المساء قالت لي أمي فجأة:

“قم، أريد أن أتمشى قليلًا وأنت معي.” لم

أشأ الرفض، فجهزت نفسي وخرجت معها.

سرنا طويلًا في شوارع القدس القديمة، بينما كانت أمي تتحدث عن أمور كثيرة وأنا بالكاد أركز، لأنني كنت ما أزال متعبًا بعض الشيء.

ثم لاحظتُ أننا ابتعدنا كثيرًا عن منطقتنا .

iLovePDF

التفتُّ إليها باستغراب وسألتها :

“إلى أين نحن ذاهبان؟”

ابتسمت تلك الابتسامة الغامضة التي بدأت أخافها منها وقالت:

“أريد أن أزور صديقة لي... ادخل معي فقط”.

تلبكت فورًا.

لا أعرف لماذا شعرتُ أنني لا أريد الدخول.

قلت لها بسرعة:

“لا يا أمي، اذهبي أنتِ وأنا أبقى هنا .” لكنها

أصرت بطريقة لم تترك لي فرصة للهرب.

دخلتُ خلفها أخيرًا وأنا لا أعرف أين جئنا أصلاً.

كان البيت دافئاً وهادئاً بصورة مريحة، تفوح منه رائحة قهوة وشيء يشبه الطمأنينة.

جلستُ بصمت بينما كانت أمي تتحدث مع صاحبة المنزل، وأنا بالكاد أسمع شيئاً.

ثم...

فتُح الباب الداخلي .

وسمعتُ صوتاً أعرفه أكثر مما أعرف صوتي.

“مساء الخير”.

أقسم أن قلبي توقف حرفيًا في تلك اللحظة.

رفعتُ رأسي بسرعة.

وكنتِ أنتِ.

توقفتِ مكانكِ فور أن رأيتِني، واتسعت عيناكِ بدهشة جميلة أربكتني أكثر مما ينبغي.

iLovePDF

أما أنا، فالتفتُّ مباشرة نحو أمي بنظرة مصدومة وكأنني أعاتبها لأنها لم تخبرني.

بينما كانت هي تبتسم بخبث واضح وكأنها تستمتع بالمشهد كله .

أما أنتِ...

فحاولتِ التصرف بشكل طبيعي بطريقة مضحكة جدًا.

اقتربتِ وسلمتِ علينا بهدوء، رغم أن الخجل كان واضحًا على وجهكِ بالكامل، ثم دخلتِ بسرعة إلى الداخل وكأنكِ تهربين من نظراتي .

لكن صوتكِ ظلّ عالقًا في رأسي حتى بعد أن اختفيتِ .

جلستِ بعدها معنا لبعض الوقت.

كنتِ تتحدثين مع أمي بهدوئكِ المعتاد، بينما أنا بالكاد أسمع الكلمات لأنني كنتُ مشغولاً بالنظر إليكِ فقط .

كل مرة ترفعين فيها عينيكِ نحوي ثم تهربين بسرعة، كان قلبي يبتسم وحده كالأحمق .

ثم اعتذرتِ ودخلتِ إلى المطبخ.

وبقيتُ أنا أفكر كيف يمكن لصوت شخص واحد أن يجعل البيت كله يبدو أدفأ بهذا الشكل .

بعد دقائق، سمعتكِ تنادين والدتكِ من الداخل.

فدخلت إليكِ، ثم خرجت بعد قليل وهي تنظر إليّ بابتسامة لطيفة قائلة :

"يا ابني، هل يمكن أن تساعدنا قليلًا؟ يبدو أن أنابيب المياه

انفصلت." وقفتُ فورًا دون تفكير وقلت:

"طبعًا، لا مشكلة."

والحقيقة. ...

أنني كنتُ سأهدم البيت وأعيد بناءه لو طلبتِ مني ذلك.

iLovePDF

دخلتُ إلى المطبخ وبدأتُ أحاول إصلاح المشكلة، بينما بقيتِ أنتِ واقفة قرب الباب تراقبينني بصمت.

وكانت أمكِ قد أخذت أمي وجلستا في الخارج وتركتانا وحدنا .

وبعد دقائق من المحاولة، انفلت الماء فجأة بقوة فوقي ابتلت

ملَّبسي بالكامل تقريباً، من شعري حتى قدميّ.

رفعتُ رأسي بصدمة، بينما كنتِ تنظرين إليّ لثانية بصمت ... ثم

انفجرتِ ضاحكة.

يا الله...

أقسم أنني لم أرَ شيئاً أجمل من ضحكتكِ تلك اللحظة

كنتِ تضحكين بعفوية كاملة، حتى انحنيتِ قليلًا من شدة الضحك، بينما كنتُ أنا أقف غارقًا بالماء أحدق بكِ وكأنني نسيت تمامًا لماذا جئت إلى هنا أصلًا.

ولأول مرة منذ وقت طويل ...

شعرتُ أن الحياة يمكن أن تكون خفيفة وبسيطة إلى هذا الحد، فقط لأنكِ تضحكين أمامي.

فارس

iLovePDF

القدس
إلى فارس،

لا أعرف كيف استطعتَ في دقائق قليلة أن تحوّل مطبخنا الصغير إلى فوضى كاملة .

كنتَ تحاول إصلاح أنابيب المياه بتركيزٍ مضحك، بينما أنا أقف قرب الباب أراقبك بصمت وأحاول ألاّ أبتسم كلما عقدتَ حاجبيك بذلك الشكل الجدي وكأنك تنقذ العالم لا أنبوب ماء فقط.

ثم، فجأة...

انفجر الماء فوقك دفعة واحدة .

ابتلت ملّبسك بالكامل، وشعرك أيضًا، حتى قطرات الماء بدأت تنزل فوق وجهك بطريقة جعلتك تبدو مضحكًا وجميلً ً في الوقت نفسه.

حاولتُ التماسك فعلً ً.

أقسم أنني حاولت.

لكنني انفجرت ضاحكة دون قدرة على التوقف.

كنتُ أضحك بعفوية كاملة، بينما أنت تنظر إليّ بصدمة مصطنعة وكأنك مستاء، رغم أنني كنت أرى الابتسامة تحاول الهرب من زاوية فمك .

وبعد دقائق، استطعتَ أخيرًا إصلاح العطل.

نظرتَ إليّ بفخر وكأنك أنهيت إنجازًا عظيمًا، فصفقتُ لك بخفة وقلتُ:

"أحسنت، يا مهندس".

ضحكتَ وأنت تمرر يدك بين شعرك المبلل، بينما الماء ما يزال يقطر من أطرافه.

كم كان منظرُك جميلً ً.

iLovePDF

كنتَ واقفًا أمامي بملَّبسك المبللة، وملَّمحك الحادة التي زادتها قطرات الماء وسامة بطريقة أربكتني أكثر مما ينبغي.

بشرتك السمراء بدت أدفأ تحت ضوء المطبخ الأصفر، وعيناك الداكنتان كانتا تلمعان بخفة وأنت تبتسم لي بتلك الثقة التي تجعل قلبي يفقد توازنه دائمًا.

حتى شعرك المبعثر فوق جبينك بدا جميلًا بطريقة مستفزة.

ولأنني لم أعرف كيف أهرب من نظراتك، قلتُ بسرعة وأنا أحاول التظاهر بالهدوء:

"انتظر هنا... سأجلب لك ملَّبس جافة قبل أن تمرض".

ضحكتَ بخفة ورفعتَ كتفيك باستسلام، بينما أسرعتُ إلى الغرفة الصغيرة أبحث عن شيء يناسبك.

وبعد لحظات، عدتُ وأنا أحمل لك بعض الملَّبس البسيطة، ثم مددتهُا إليك بخجل خفيف:

"أظن أنها قد تناسبك" .

أخذتها مني بابتسامة هادئة، ثم دخلتَ إلى الغرفة القريبة لتبدّل ملَّبسك.

وحين خرجت ...

توقفتُ عن التنفس للحظة .

كانت الملَّبس بسيطة جدًا، لكنها بدت عليك وكأنها خُلقت لك وحدك.

وقفتُ أحدق بك دون وعي، بينما شعرتُ فجأة بشيء قديم يمرّ في قلبي.

شيء يشبه الحنين.

ثم خرجت الكلمات مني دون تفكير:

"تعرف... رائحتك تشبه رائحة أبي".

نظرتَ إليّ بدهشة خفيفة، ثم سألتني بهدوء :

iLovePDF

" لم تخبريني قبل عن والدك .. أين هو ؟"

أخفضتُ بصري للحظة قبل أن أجيب:

"سافر منذ سنوات طويلة... ومنذ ذلك الوقت لم نعد نعرف عنه شيئاً ."

ساد الصمت قليلاً.

أما أنا، فأكملت بصوتٍ أهدأ:

"أعيش أنا وأمي وحدنا" ... كنتَ

تنظر إليّ وقتها بطريقة مختلفة .

ليست نظرتك العابثة المعتادة...

بل نظرة دافئة مليئة بشيء يشبه الاحتواء.

وكأنك كنتَ تتمنى لو تستطيع أخذ كل التعب عن قلبي دفعة واحدة.

ولأنني خفت من تلك النظرة أكثر مما ينبغي، غيرّتُ الموضوع بسرعة وقلتُ:

"لكن... لماذا لم تخبرني أنك قادم؟"

ضحكتَ بخفة وأنت تشير إلى نفسك:

"أمي قالت إنها ستأخذني إلى بيت صديقتها، ولم أكن أعلم أنه بيتكم أصلاً

." ثم نظرتَ إلى ملّبسك المبعثرة قليلاً وأكملت بمبالغة مضحكة:

"ألا ترين شكلي؟ هذا أكبر دليل أنني لم أكن أعرف".

ضحكتُ رغمًا عني وقلتُ:

"ولماذا؟ ما المشكلة في شكلك؟" اقتربتَ

قليلاً وأنت تبتسم بثقة أربكتني:

"لو كنت أعلم أنني قادم إليكِ... لكنت مشّطت شعري وتأنقت لك قليلاً."

شعرتُ بحرارة خفيفة في وجهي فورًا، لكنني حاولت التظاهر باللامبالاة وقلت:

iLovePDF

“يعني أنك لا تتأنق إذا لم تكن قادم لرؤيتي؟”

توقفتَ عن الابتسام للحظة، ثم نظرتَ إليّ مباشرة بطريقة جعلت قلبي يضعف جِدًا وأنت تقول:

“لا... لا أفعلها ”.

ثم اقتربتَ أكثر وهمستَ بخفة مازحة:

“أخاف أن أفُتن فتاة غيرك... أنتِ تعرفين أنني شديد الجاذبية.”

شهقتُ من وقاحتك وضربتُ ذراعك فورًا وأنا أضحك:

“أنا أصلً لست مفتونة بك، وكلًمك لا يؤثر

بي.” رفعتَ حاجبك بثقة مستفزة، ثم قلتَ بهدوء:

“حسنًا... لكنني أحبكِ يا حبيبتي .”

كيف تستطيع قولها بهذه السهولة بينما أنا في كل مرة أسمعها أشعر أن قلبي ينهار بالكامل؟

نظرتُ إليك للحظة، وأقسم أنني كنتُ على وشك أن ألين تمامًا أمامك.

لكنني تماسكت بصعوبة، بينما كنتَ تبتسم وكأنك تعرف تمامًا ما الذي تفعله بي.

ثم خرجتَ من المطبخ، وقبل أن تبتعد التفتَّ نحوي قائلً:

“أرأيتِ؟ قلت لكِ إنني جذاب.”

ضحكتُ رغماً عني وقلتُ:

“وغليظ و وقح أيضًا .”

فضحكتَ بصوتٍ عالٍ أخيرًا وغادرتَ، بينما بقيتُ أنا واقفة مكاني... أبتسم وحدي كحمقاء لأن رجلً واحدًا فقط استطاع أن يجعل حتى مطبخنا الصغير يبدو ممتلئاً بالحياة إلى هذا الحد.

نور

iLovePDF

القدس

إلى فارس،

ذلك المساء كان يشبه حلمًا صغيرًا ضاع من السماء واستقر بين يديّ دون أن أفهم كيف.

خرجنا نتمشى في شوارع القدس القديمة كعادتنا، نسير ببطء وكأننا نحاول إطالة الوقت قدر الإمكان .

كانت الأزقة ممتلئة برائحة الخبز والقهوة، والمصابيح الصفراء الصغيرة تتدلىّ فوق الحارات العتيقة فتجعل المدينة تبدو أكثر دفئاً من عادتها .

أما أنت...

فكنت تمشي إلى جانبي بهدوئك الذي يطمئنني دائمًا، تسرق النظرات نحوي بين كل لحظة وأخرى، ثم تبتسم حين أنني انتبهت.

وكنتُ، ككل مرة، أتظاهر بأنني لا أرتبك .

لكن قلبي كان يفضحني دائمًا أمامك.

كنا نتحدث عن أشياء بسيطة جَدًا، ونضحك على أمور لا تستحق الضحك أصلً، ومع ذلك بدا كل شيء جميلً فقط لأنك معي.

ثم مررنا قرب حديقة ألعاب صغيرة .

وكانت أصوات الأطفال تملأ المكان بالحياة؛ ضحكات عالية، وركض عشوائي، وأراجيح تتحرك تحت ضوء المساء كأنها تحفظ طفولة العالم كله.

توقفتُ دون وعي.

وبقيتُ أتفرج على الأطفال بصمت.

لا أعرف لماذا شعرتُ فجأة بشيء دافئ وحزين في الوقت نفسه.

iLovePDF

ربما لأن الإنسان، مهما كبر، يبقى يشتاق أحيانًا لتلك النسخة الصغيرة منه التي كانت تضحك دون خوف.

كنتُ سارحة فيهم حتى سمعت صوتك قريبًا مني:

“تعالي... أتريدين أن تلعبي ؟” .

التفتُّ إليك فورًا وضحكتُ باستنكار :

“ماذا؟ هل تراني صغيرة؟”

ابتسمتَ بتلك النظرة التي تذيبني دائمًا ثم قلت:

"أنتِ طفلتي وصغيرتي... وابنتي أيضًا"

يا الله. ..

كيف يمكن لجملة واحدة منك أن تجعل

قلبي يلين بهذه السرعة؟ ضحكتُ بخجل،

ثم أشرتُ نحو الأرجوحة وقلتُ بمشاكسة:

“حسنًا إذًا... أرجحني.”

كانت أول مرة أرى فيها ابتسامتك بذلك الاتساع.

أخذتني نحو الأرجوحة كأنك تحمل كنزًا صغيرًا تخشى عليه من العالم، ثم بدأت تدفعها برفق بينما أضحك كطفلة فعلًا.

وكان الهواء يضرب وجهي، وشعري يتطاير خلفي، بينما صوت ضحكاتنا يختلط بضحكات الأطفال حولنا.

وفي تلك اللحظة تحديًدًا...

شعرتُ أنني أخف من كل الأحزان التي حملتها يومًا .

ثم ذهبتَ بعدها واشتريتَ لي غزل البنات.

جئتَ به وكأنك تقدم لي هدية عظيمة، بينما كنتُ أنظر إليك وأضحك من تصرفاتك الطفولية التي تظهر فقط معي.

iLovePDF

أخذتُ قطعة صغيرة منه، لكنك تعمدت أن تلطخ طرف أنفي به، ثم ضحكتَ حين تذمرتُ منك وضربتُ كتفك بخفة.

كنا نضحك بطريقة نسيت معها العالم كله.

وحين خرجنا من الحديقة أخيرًا، أمسكتَ يدي بهدوء.

توقفتُ للحظة قصيرة فقط...

ثم تركتُ يدي داخل يدك.

كم يبدو العالم أكثر أمانًا حين تمسك يدي.

سرنا طويلًا بعدها في حارات القدس القديمة، وأيدينا متشابكة، بينما كانت المدينة من حولنا هادئة بصورة شاعرية مخيفة.

كنتَ أحيانًا تضغط على يدي بخفة وكأنك تتأكد أنني ما أزال قربك، فأبتسم وحدي دون أن أقول شيئاً . ولأول مرة منذ عرفتك ... شعرتُ أنني لا أخاف المستقبل.

طالما أنك تسير إلى جانبي بهذه الطريقة.

وحين اقتربنا من بيتنا أخيرًا، توقفتُ فجأة.

نظرتُ إليك، بينما قلبي يخفق بسرعة جعلت الكلمات ثقيلة فوق لساني .

ثم قلتُ بهدوء مرتبك:

"أمي... وافقت عليك ".

اتسعت عيناك فورًا بطريقة جعلتني أضحك بخجل.

أكملتُ بسرعة قبل أن أهرب من نظراتك:

"يمكنك أن تأتي مع أهلك لتخطبني رسميًا... وخالي سيأتي يوم الخميس ."

أقسم أنني رأيت الفرح يضيء وجهك كاملًا في تلك اللحظة.

اقتربتَ مني أكثر، ثم قلتَ بابتسامة مذهولة:

iLovePDF

“يعني... بعد أيام قليلة ستصبحين ملك يميني؟” احمرّ

وجهي فورًا، لكنني ابتسمت وقلتُ بخجل:

“بل سأصبح لقلبك”.

وفي اللحظة التالية... شددتني

نحوك وضممتني بقوة .

شعرتُ بذراعيك حولي، وبقلبك يضرب قرب صدري بسرعة تشبه سرعتي تمامًا، ثم سمعتك تهمس قرب أذني:

"أحبكِ يا صغيرتي ."

أغمضت عيني للحظة... ثم

ولأول مرة منذ أن عرفتك

قلتها دون خجل ودون خوف

ودون أن أهرب بعدها :

"وأنا أحبك كثيرًا ."

ابتعدتَ قليلًا لتنظر إليّ، وكأنك لا تصدق ما سمعته.

ثم ضحكتَ فجأة بطريقة لم أرَك تضحك بها من قبل وقلت:

“أقسم أنني لأول مرة في حياتي أشعر أنني لا أستطيع الوقوف على قدميّ... أشعر أنني سأقع.”

ضحكتُ رغم خجلي وربتُّ على صدرك بخفة وقلت:

“تماسك يا حبيبي” .

لم أصدق كيف خرجت مني كلمة “حبيبي” بهذه السهولة؟

لكن الطريقة التي نظرتَ بها إليّ بعدها جعلتني أشعر أن العالم كله توقف للحظة قصيرة بيننا.

iLovePDF

ثم أوصلتني إلى باب بيتنا بهدوء بقينا واقفين للحظات طويلة لا يريد أيٌّ منا أن يغادر أولاً.

وحين ودعتني أخيرًا ومشيت

مبتعدًا...بقيتُ أحدق بك حتى اختفيت

آخر الحي وأبتسم وحدي... كأن قلبي

كله كان يمشي معك .

نور

iLovePDF

القدس

إلى نور،

لا أعرف كيف استطاعت القدس تلك الليلة أن تبدو مختلفة إلى هذا الحد

ربما لأنك كنتِ تسيرين إلى جانبي .

خرجنا نتمشى في شوارع القدس القديمة بهدوء، نمشي ببطء وكأن كلًّنا يحاول سرقة المزيد من الوقت قبل أن ينتهي المساء. وكانت الأزقة مليئة برائحة الخبز والقهوة، والمصابيح الصفراء الصغيرة تنعكس فوق حجارة المدينة العتيقة فتجعل كل شيء يبدو أكثر دفئاً.

أما أنتِ...

فكنتِ تمشين بقربي بذلك الهدوء الذي يجعلني أفقد انتباهي عن العالم كله . كنتِ ترفعين عينيك نحوي أحياناً ثم تتظاهرين سريعًا بأنك لم تنظري أصلاً، وكنتُ أستمتع بإرباكك أكثر مما ينبغي.

أحب الطريقة التي تحاولين بها التظاهر بالقوة بينما قلبكِ يفضحكِ دائمًا أمامي .

كنا نتحدث عن أشياء عادية جدًا، أمور لا معنى لها تقريبًا، لكن صوتكِ وحده كان كافيًا ليجعلني أشعر أنني أعيش أجمل ليلة في حياتي.

ثم مررنا قرب حديقة ألعاب صغيرة .

وكان المكان ممتلئاً بأصوات الأطفال وضحكاتهم، والأراجيح تتحرك تحت ضوء المساء بخفة جعلت المشهد كله يبدو كذكرى قديمة جميلة.

لاحظتُ أنكِ توقفتِ فجأة.

بقيتِ تنظرين إلى الأطفال بصمت طويل، بينما تغير شيء صغير جدًا في ملًمحك... شيء جعل قلبي يلين فورًا.

iLovePDF

بدوتِ لي حينها كطفلة تحاول أن تتذكر نفسها.

اقتربتُ منك قليلاً ثم قلتُ بهدوء:

"تعالي... أتريدين أن تلعبي؟"

التفتِّ نحوي بسرعة وضحكتِ وكأن الفكرة مستحيلة :

"ماذا؟ هل تراني صغيرة؟

يا الله...

لو كنتِ تعرفين كيف أراكِ فعلاً... ابتسمتُ دون وعي وقلت:

"أنتِ طفلتي وصغيرتي... وابنتي أيضًا ."

وأقسم أن منظر الخجل الذي ظهر في عينيكِ بعدها كان كافيًا ليجعل قلبي يفقد توازنه تمامًا .

ضحكتِ بخفة، ثم أشرتِ نحو الأرجوحة بمشاكسة:

"حسنًا إذًا... أرجحني."

لا أظن أنني ابتسمتُ في حياتي بذلك الشكل كما فعلتُ وقتها.

أخذتكِ نحو الأرجوحة وكأنني أخشى أن تخطفكِ الحياة مني إن تركتُ يدكِ لثانية واحدة، ثم بدأتُ أرجحكِ برفق بينما ضحكتكِ تملأ المكان كله.

كنتِ تضحكين بعفوية حقيقية...

وكنتُ أراقبكِ وكأنني أرى أجمل شيء قد تراه عيناي يومًا .

شعركِ كان يتطاير مع الهواء، وعيناكِ تلمعان تحت أضواء الحديقة، وفي تلك اللحظة تحديدًا شعرتُ أنني مستعد لأن أحارب العالم كله فقط لأراكِ تضحكين هكذا دائمًا.

بعدها ذهبتُ واشتريتُ لكِ غزل البنات.

لا أعرف لماذا كنتُ سعيدًا إلى تلك الدرجة وأنا أحمله إليكِ، وكأنني أقدم لكِ شيئاً أثمن من العالم نفسه.

iLovePDF

وحين أخذتِ قطعة صغيرة منه، تعمدتُ أن ألمس طرف أنفكِ بالقليل منه فقط لأراكِ تتذمرين مني.

وفعلاً...

ضربتِ كتفي بخفة وأنتِ تضحكين، بينما شعرتُ أنا أن قلبي يكاد ينفجر من شدة السعادة .

كيف يمكن للحظات الصغيرة معكِ أن تجعل الحياة كلها تبدو أخف ؟ وحين

خرجنا من الحديقة، أمسكتُ يدكِ بهدوء.

كنتُ متوترًا أكثر مما أظهرت... خفتُ للحظة أن تسحبي يدكِ مني.

لكنكِّ تركتها داخل يدي دون اعتراض.

وأقسم أن شيئاً دافئاً مرّ في صدري وقتها بطريقة لم أعرف وصفها أبدًا . سرنا طويلًً بعدها في حارات القدس القديمة، وأيدينا متشابكة، بينما كنتُ أضغط على يدكِ أحيانًا فقط لأتأكد أنكِ ما زلتِ هنا فعلًً... وأن كل هذا ليس حلمًا عابرًا .

ولأول مرة منذ سنوات طويلة ... شعرتُ

أن المستقبل لا يخيفني.

طالما أنكِ تسيرين إلى جانبي بهذه الطريقة .

وحين اقتربنا من بيتكم، شعرتُ أنكِ توترتِ فجأة.

توقفتِ عن المشي للحظة، ثم نظرتِ إليّ بطريقة جعلت قلبي يسرع دون سبب مفهوم .

وقلتِ بهدوء مرتبك:

"أمي... وافقت عليك ".

أقسم أنني في تلك اللحظة لم أعد أسمع شيئاً حولي.

حتى المدينة اختفت كل ما رأيته كان أنتِ فقط.

iLovePDF

اتسعت عيناي دون وعي، بينما كنتِ تكملين بسرعة وكأنكِ تخجلين من كلماتكِ:

"يمكنك أن تأتي مع أهلك لتخطبني رسميًا... وخالي سيأتي يوم الخميس ."

لا أذكر أنني شعرتُ بفرح يشبه ذلك الفرح في حياتي كلها ... اقتربتُ منكِ أكثر، ثم قلتُ وأنا ما أزال غير مصدق:

"يعني... بعد أيام قليلة ستصبحين ملك يميني؟"

احمرّ وجهكِ فورًا، لكنكِ ابتسمتِ بخجل جعلني أضعف أكثر حين قلتِ:

"بل سأصبح لقلبك".

وأقسم أن قلبي توقف لحظة كاملة بعد تلك الجملة شددتكِ نحوي فورًا وضممتكِ بقوة دون أن أفكر.

كنتُ أشعر بقلبكِ يضرب بسرعة قرب صدري، بينما أنا بالكاد أستطيع التنفس من شدة ما أشعر به.

ثم همستُ قرب أذنكِ:

"أحبكِ يا صغيرتي ."

أغمضتِ عينيكِ للحظة...

ثم قلتها أخيرًا .

"وأنا أحبك كثيرًا ."

لا تعرفين ماذا فعلتِ بي وقتها شعرت أن الأرض كلها اهتزت تحت قدمي للحظة.

ابتعدتُ قليلًا فقط لأنظر إليكِ وكأنني أحاول التأكد أنني لم أتخيل ما سمعته، ثم ضحكتُ فجأة بطريقة لم أضحك بها من قبل وقلت:

"أقسم أنني لأول مرة في حياتي أشعر أنني لا أستطيع الوقوف على قدميّ... أشعر أنني سأقع."

ضحكتِ بخجل وربتِّ على صدري بخفة ثم قلتِ:

iLovePDF

“تماسك يا حبيبي” .

يا الله. ..

كيف يمكن لكلمة واحدة منكِ أن تجعل رجلًا كاملًا ينهار بهذه السهولة؟ الطريقة التي نظرتُ بها إليكِ بعدها لم تكن بيدي أصلًا شعرتُ وقتها أن العالم كله توقف فعلًا بيننا للحظات قصيرة.

ثم أوصلتكِ إلى باب بيتكم ببطء، وكأنني أؤخر لحظة الوداع قدر استطاعتي.

بقينا واقفين بصمت طويل، لا أنا أريد الرحيل، ولا أنتِ تريدين الدخول.

وحين ابتعدتُ أخيرًا...

كنتُ أشعر أن شيئاً مني بقي واقفًا عند باب بيتكم معكِ.

ومنذ تلك الليلة يا نور...

وأنا كلما تذكرتُ ضحكتكِ في شوارع القدس، أشعر أن قلبي يعود ليركض نحوكِ من جديد.

فارس

iLovePDF

القدس

إلى فارس

أظن أن الإنسان لا يشعر بثقل الحب في اللحظات الكبيرة...

بل في التفاصيل الصغيرة التي تمرّ بهدوء، ثم تبقى عالقة

في القلب إلى الأبد.

واليوم كان مليئاً بتلك التفاصيل.

كنتُ أجلس مع أمي بعد الظهر، نطوي بعض الثياب ونتحدث بأشياء عادية جِدًا، حين سمعنا طرق الباب.

ولا أعرف لماذا ارتبك قلبي فورًا،

كأنّه عرف أنك أنت قبل أن أراك.

دخلتَ بعدها بلحظات،

تلقي السلَّم بصوتك الذي أصبح مألوفًا لدرجة أنني صرتُ أشعر بالأمان لمجرد سماعه .

كنتَ ترتدي قميصًا أبيض جعل بشرتك السمراء تبدو أدفأ، وشعرك كان مرتبًا كأنك وقفت طويلًا أمام المرآة ثم ادعيت أمام نفسك أنك لم تفعل.

أمي رحّبت بك كثيرًا، أما أنا فجلستُ بصمت أراقبك فقط أراقب كيف تحاول أن تبدو طبيعيًا رغم أنك متوتر أكثر مني.

حتى فنجان القهوة الذي أعطتك إياه أمي،

كنتَ تمسكه بطريقة مضحكة قليلًا،

كأنك تخاف أن تسقطه أمامها فتخسر هيبتك كلها دفعة واحدة .

iLovePDF

وحين سألتك أمي بعض الأسئلة،

كنتَ تجيب بكل ذلك الهدوء الرجولي الذي يشبهك، لكنني كنت ألاحظ الأشياء الصغيرة التي لا يلاحظها أحد.

كيف تنظر إليّ سريعًا ثم تبعد عينيك ..كيف تبتسم دون وعي كلما تحدثتُ.

وكيف كنتَ تحاول أن تجلس باعتدال طوال الوقت بينما ركبتك تتحرك بتوتر تحت الطاولة.

لا أعرف لماذا أحببتُ توترك بهذا الشكل.

ربما لأنني لأول مرة شعرتُ أن هناك رجلًا يخاف خسارتي فعلًا.

بعد قليل، اقترحت عليَّ وعلى أمي أن نذهب لنختار خواتم الخطبة .

شعرت أن قلبي توقف لحظة .

حتى الكلمة نفسها بدت غريبة عليّ...

"خواتم الخطبة" .

كأنها تخص أشخاصًا آخرين

لا نحن.

خرجنا معًا،

وكانت القدس تميل إلى الغروب ببطء، والهواء باردًا قليلًا، وأنت تمشي بقربي بهدوء غريب.

لم نتحدث كثيرًا في الطريق.

لكنني كنتُ أشعر بك بطريقة واضحة جدًا،

كأن قربك وحده صار حديثاً كاملًا.

دخلنا محل الذهب ،

iLovePDF

وحين بدأ الرجل يعرض علينا الخواتم،

ارتبكتُ بصورة سخيفة.

كل شيء فجأة صار حقيقيًا أكثر مما ينبغي .

أنت.

أنا.

الخطبة.

الزواج.

العمر الذي سيجمعنا .

كنتُ أتظاهر بالتماسك،

لكن يدي كانت باردة جِدًا.

وحين لاحظتَ ذلك،

اقتربتَ قليلً

وهمست:

"لماذا أنتِ خائفة وكأنهم سيزوجونكِ اليوم؟ "

فضحكتُ رغماً عني .. ثم بدأتُ أنظر إلى الخواتم،

لكن المشكلة أنني لم أكن أرى شيئاً بوضوح كنتُ

فقط أشعر بك واقفًا بجانبي ،

وهذا وحده كان كافيًا ليجعل قلبي مرتبكًا بالكامل.

بعد وقت طويل، اخترنا خاتمين بسيطين جِدًا.

لكنني حين رأيتهما قرب بعضهما،

شعرتُ بشيء غريب.

iLovePDF

كأن الأشياء الصغيرة أحياناً تستطيع أن تحمل عمرًا كاملًا داخلها.

وحين ألبسك الرجل خاتم القياس لتجربه،

نظرتُ إلى يدك طويلًا... وفكرتُ

فجأة:

كيف يمكن ليدٍ حملت كل هذه القسوة ،

أن تكون المكان الذي أشعر فيه بكل هذا الأمان؟

أما أنت،

فبقيتَ تنظر إليّ وأنا أجرب خاتمي بطريقة جعلتني أخجل من رفع عيني نحوك.

كان في نظرتك شيء لم أره من قبل .

شيء يشبه الطمأنينة.

وكأنك،

لأول مرة منذ عرفتك ،

وجدت المكان الذي تريد أن تبقى فيه.

نور

iLovePDF

القدس

إلى نور،

أظن أن الرجل لا يدرك تمامًا أنه أحبّ امرأةً حقًا... إلا حين يبدأ برؤيتها في كل تفاصيل مستقبله.

واليوم،

لأول مرة

، شعرتُ

أن الحياة

لم تعد

تخصني

وحدي.

كنتُ أجلس مع أمي ويامن في الصباح، وكان يامن يثرثر كعادته بأشياء لا تنتهي، بينما أمي تحاول أن تجعله يصمت دون فائدة.

أما أنا،

فكنتُ صامتاً على غير عادتي ،

iLovePDF

أخفي داخلي ذلك الارتباك الغريب الذي لم أعرفه يومًا قبل أن أحبك.

ثم قلتها أخيرًا .

قلتُ لهم إن أمك وافقت وإن خالك سيأتي يوم الخميس.

أقسم أن البيت كله تغيّرّ بعد الجملة.

أمي ابتسمت فورًا بطريقة لم أرها على وجهها منذ زمن طويل، حتى عيناها امتلأتا بشيء يشبه الراحة، كأنها كانت تنتظر هذه اللحظة أكثر مني.

أما يامن،

فضربني على كتفي وهو يضحك ويقول:

"أخيرًا... وجدنا امرأةً تتحملك. أو ربما لن تتحملك .. لكن لا شك أنها ستندم" .

فشتمته، فضحك أكثر .

لكن الحقيقة ؟

أنني كنتُ سعيدًا بطريقة أخافتني قليلًً.

لأن الإنسان، كلما ازداد تعلقه بشيء، ازداد خوفه من خسارته أيضًا .

بعد قليل،

أخبرتني أمي أن أذهب لزيارتكم مساءً.

ومنذ تلك اللحظة،

بدأتُ أتصرف كأحمق كامل.

وقفتُ أمام الخزانة وقتاً طويلًً جدًا لاختيار قميص مناسب،

ثم بدلتهُ ثلًث مرات كأنني ذاهب لمقابلة العالم كله لا فتاة واحدة فقط.

حتى يامن بقي يضحك عليّ طوال الوقت.

قال لي:

iLovePDF

“والله لو أنك ذاهب لخطبة ابنة الوزير لن تتوتر هكذا ”.

لكنني لم أكن متوترًا من الزيارة نفسها ...

كنتُ متوترًا منكِ.

من الطريقة التي تجعلين بها رجلًا مثلي يفكر كثيرًا قبل أن يراكِ.

وحين وصلت إلى بيتكم،

كنتُ أحاول أن أبدو هادئاً قدر الإمكان،

لكن قلبي كان يخونني بطريقة فاضحة.

ثم فتحتِ الباب. وأقسم أنني نسيتُ كل شيء للحظة.

كنتِ ترتدين ثوباً بسيطًا بلون هادئ،

وشعرك منسدل فوق كتفيك بطريقة جعلتني أشعر أن العالم صار أبطأ فجأة.

حتى صوتك وأنتِ تردين السلَّم بدا قريبًا جدًا من قلبي.

جلستُ معكم بعدها، وأمك كانت لطيفة معي أكثر من المرة السابقة ، حتى إنني بدأت أرتاح شيئاً فشيئاً .

لكن عينيّ ،

رغم كل شيء، كانتا تعودان إليكِ دائمًا .

كنتِ تجلسين بهدوء قرب أمك، تبتسمين أحياناً، وتخفضين عينيكِ أحيانًا أخرى،

وأنا أنظر إليكِ كأنني أحاول حفظكِ داخل ذاكرتي.

وحين وُضع فنجان القهوة أمامي، كدتُ فعلًا أن أسكبه من شدة توتري.

ورأيتكِ تضحكين بصمت .

ضحكتكِ تلك وحدها كانت كافية لتعيد إليّ توازني كله.

بعدها خرجنا لنختار الخواتم.

iLovePDF

وكان الطريق معكِ هادئاً بصورة غريبة ،

لكنني لم أشعر يومًا أن الصمت يمكن أن يكون جميلًا هكذا.

كنتِ تمشين بقربي فقط،

وهذا وحده جعلني أشعر أنني أملك شيئاً أثمن من الكلَم كله دخلنا محل الذهب ،

وبدأتِ تنظرين إلى الخواتم بخجل واضح ،

بينما كنتُ أنظر إليكِ أنتِ أكثر مما أنظر إليها.

لا أعرف لماذا شعرتُ في تلك اللحظة أن الحياة ،

رغم كل ما فعلته بنا، كانت تعوضني عن شيء كبير.

وحين جربتِ الخاتم أخيرًا، ورأيتهُ في يدكِ...

شعرت برجفة في قلبي لأن الأمر لم يعد مجرد حب بل صار حياةً كاملة أريدها معكِ.

وفي طريق العودة ،

كنتِ تتحدثين عن أشياء صغيرة لا أذكرها الآن، لأنني كنتُ منشغلًا بشيء آخر تمامًا.

كنتُ أفكر فقط...

كيف استطاعت فتاة ...أن تجعل رجلًا

مثلي، اعتاد الحرب والخوف والقسوة، يبتسم

وحده في الطريق كالأطفال ؟

فارس

iLovePDF

القدس

إلى نور،

أظن أن الإنسان يعيش في حياته أيامًا كثيرة...

لكن هناك أيامًا محددة فقط تبقى محفورة داخله إلى الأبد، مهما مرّ الزمن بعدها.

ويوم خطبتكِ كان أحد تلك الأيام .

استيقظتُ باكرًا جدًا رغم أنني بالكاد نمت أصلًا.

كنتُ أشعر بتوتر غريب يشبه ذلك الذي يسبق المعارك، مع أنني لم أكن ذاهبًا إلا إليكِ .

لكن فكرة أنني سأراكِ بعد ساعات وأنتِ "رسمياً لي" ...

كانت كافية لتجعل قلبي غير قادر على الهدوء.

منذ الصباح، والبيت كله في حالة فوضى.

أمي تتحرك في كل الاتجاهات دفعة واحدة، تجهز ما سنأخذه ، وتعيد ترتيب الأشياء رغم أنها مرتبة أصلًا، بينما يامن يجلس يراقبني كأنه ينتظر فرصة للسخرية مني.

وهو فعلًا لم يخذلني.

ظل يضحك كلما رآني أمرر يدي في شعري أو أبدل قميصي للمرة العاشرة.

قال لي:

iLovePDF

“أقسم أنك تتأنق أكثر من العروس نفسها”.

رمقته بنظرة حادة، فضحك أكثر وأضاف:

“اهدأ قليلًً... ما بك .. وكأنك تتزوج للمرة الاولى

.” أردتُ ضربه فعلًً.

لكن الحقيقة التي لن أعترف بها أمامه أبَدًا...

أنني كنتُ خائفاً بطريقة لم أعرفها من قبل.

ليس خوفًا منكِ... بل خوفًا من شدة سعادتي.

لأن الإنسان أحيانًا، حين يقترب كثيرًا من الشيء الذي تمناه طويلًً، يبدأ بالخوف من أن يكون حلمًا فقط .

وحين جاء وقت الخروج، وقفتُ أمام المرآة طويلًً.

لم أكن أرى نفسي بوضوح.

كنتُ أراكِ أنتِ فقط.

أتخيل شكلكِ، خجلكِ، عينيكِ حين تلتقيان بعينيّ أمام الجميع، والطريقة التي ستحاولين بها الهرب من نظراتي كالعادة.

ثم خرجنا.

أنا وأمي ويامن وبعض الأقارب، نحمل معنا الحلوى والفرح وقلوبًا ممتلئة بكِ.

وطوال الطريق، كان قلبي يخفق كأنني ذاهب لأخذ العالم كله لا فتاة واحدة فقط.

وحين وصلنا إلى بيتكم...

أقسم أنني نسيت كيف أتنفس.

كان البيت مضاءً بصورة دافئة، تفوح منه رائحة القهوة والورد، وأصوات الناس فيه هادئة ومليئة بالفرح.

iLovePDF

لكنني لم أكن أرى شيئاً من ذلك كله.

كنتُ فقط أبحث عنكِ.

ثم ظهرتِ.

يا الله...

حتى الآن لا أعرف كيف استطعتُ الوقوف في مكاني حين رأيتكِ.

كنتِ ترتدين فستاناً بسيطًا بلون هادئ يشبهكِ، وشعركِ منسدل حول وجهكِ بنعومة جعلتني أحدق بكِ كالأحمق أمام الجميع.

أما عيناكِ...

فكان فيهما ذلك الارتباك الجميل الذي يجعلني أضعف رجل في العالم أمامكِ.

شعرتُ وقتها أن كل النساء اللواتي خلقهن الله في الأرض لا يمكن أن يشبهنكِ ولو قليلًا.

كنتِ جميلة بطريقة تؤلم القلب فعلًا.

وحين جلستِ قرب والدتكِ، رفعتِ عينيكِ نحوي للحظة قصيرة فقط...

لكن تلك اللحظة وحدها كانت كافية لتربكني بالكامل .

أما يامن، ذلك الكائن الوقح، فاقترب مني وهمس:

"إن بقيت تحدق بها هكذا سيعرف الجميع أنك فقدت عقلك ".

وللأسف... كان محقًا.

لأنني فعلًا فقدته منذ أحببتكِ.

جلس الرجال يتحدثون مع خالك، وكانت أمي تبتسم طوال الوقت وكأنها تحقق حلمًا قديمًا لها، بينما أنا بالكاد أسمع شيئاً مما يدور.

كنتُ فقط أراكِ.

أراقب يديكِ المرتبكتين، وابتسامتكِ الصغيرة، والطريقة التي تحاولين بها ألاّ تنظري نحوي طويلًا .

iLovePDF

ثم جاءت اللحظة التي قال فيها خالك موافقته رسميًا.

لا أعرف كيف أشرح لكِ ما شعرتُ به وقتها.

كان الأمر يشبه أن الله، بعد كل هذا التعب، قال لقلبي أخيرًا:

"ها هي... خذها بأمان" .

وحين ألبستكِ الخاتم...

كانت يداكِ ترتجفان بخفة داخل يدي.

أما أنا، فكنتُ أحاول بكل قوتي ألاّ أضمكِ أمام الجميع من شدة الفرح.

اقتربتُ منكِ قليلًا وهمستُ بصوت لا يسمعه أحد سوانا:

"أصبحتِ لي أخيرًا."

فاحمرّ وجهكِ بالكامل بالطريقة التي أعشقها، بينما خفضتِ عينيكِ بخجل جعل قلبي يكاد يركع لكِ.

وفي تلك الليلة، بعدما انتهى كل شيء، وعدنا إلى البيت...

جلستُ وحدي طويلًا أفكر. ثم أدركتُ شيئاً واحدًا فقط:

أن أجمل ما حدث لي في حياتي كلها ...

كان يوم دخلتها أنتِ .

فارس

iLovePDF

القدس

إلى فارس،

أظن أن النساء لا ينسين يوم خطبتهن أبَدًا... ليس

لأنه يوم جميل فقط،

بل لأنه اليوم الذي تشعر فيه المرأة

أن قلبها صار مكشوفًا أمام شخصٍ واحد إلى الأبد.

ومنذ الصباح،

كان البيت كله يشبه خلية نحل صغيرة.

أمي تتحرك بين الغرف بارتباك لطيف،

وقريباتي يملأن المكان بالضحكات،

أما صديقاتي من المشفى فقد جئن باكرًا كأنهن في مهمة مصيرية لا مجرد خطبة إحداهن كانت تصفف شعري، والأخرى ترتب ثوبي كل دقيقة ،وثالثة لا تفعل شيئاً سوى الجلوس قرب النافذة وإخباري كل خمس دقائق أنني سأبكي حين أراك.

والمشكلة أنني كنت أعرف أنها محقة.

كنتُ متوترة بطريقة مضحكة فعلًا.

iLovePDF

يدي باردة، وقلبي يركض كطفل ضائع،

وكلما اقترب الوقت أكثر ، شعرتُ أن

الهواء صار أثقل.

حتى المرآة أمامي لم أستطع النظر إليها طويلًا. لأنني لأول مرة لا أتزين لنفسي...

بل لرجلٍ أحببته أكثر مما ينبغي .

ارتديتُ ثوبًا أبيض مائلًا للسكري، بسيطًا وهادئاً، لكن الجميع ظلوا ينظرون إليّ بطريقة جعلتني أخجل من نفسي.

قالت إحدى صديقاتي:

"أقسم أن فارس سينسى اسمه حين يراكِ"

فضربتها بالوسادة وأنا أضحك، لكن

قلبي...

قلبي كان يرتجف فعلًا.

ثم جاءت أمي وجلست بقربي. نظرت إليّ طويلًا دون كلَم، وكان في عينيها شيء جعلني أضعف فورًا.

مررت يدها على شعري وقالت بهدوء:

“أبوكِ لو كان هنا... لكان بكى من شدة فرحه بكِ.”

وأقسم أنني في تلك اللحظة شعرت بغصة كبيرة داخل صدري .

لكنني ابتسمت فقط، حتى لا أفسد فرحة أمي

بعدها بقليل...

سمعتُ صوتك خارج البيت.

يا الله...

iLovePDF

كيف يمكن لصوت شخصٍ واحد أن يربك القلب بهذه الطريقة؟

كل شيء داخلي توتر فجأة.

حتى صديقاتي بدأن يضحكن عليّ لأنني وقفت بسرعة كأنني نسيت كيف أتنفس.

وحين دخلتَ...

أدركتُ أن كل ما قيل عن الحب كان حقيقيًا .

كنتَ جميلً بطريقة مؤذية فعلً.

ترتدي بدلتك الداكنة، وشعرك مرتب ،

وعيناك تبحثان عني وسط الجميع بسرعة واضحة،

كأنك لم تأتِ إلى الخطبة كلها ... بل أتيت إليّ أنا

فقط .

وحين وقعت عيناك عليّ، أقسم أنني رأيتك تنسى الكلَم للحظة.

حتى يامن انتبه لذلك، فضحك

بصوت عالٍ وهو يقول:

"الحقوا فارس .... شكلو راح فيها".

فضحك الجميع ،أما أنا فكنتُ أهرب بعيني عنك لأن نظرتك كانت تربكني أكثر مما ينبغي .

طوال الجلسة، كنتُ

أشعر بعينيك عليّ.

في كل مرة أرفع رأسي ،

أجدك تنظر إليّ وكأنك تحاول حفظ ملَمحي كلها.

iLovePDF

وحين جاء وقت الخواتم...

شعرتُ أن قلبي سيتوقف

فعلً.

اقتربتَ مني بهدوء،

وأمسكتَ يدي ...

ولا أعرف كيف يمكن للمسة واحدة فقط

أن تجعل الإنسان يشعر بكل هذا الارتباك.

كانت يدك دافئة جِدًا،

أما يدي فكانت ترتجف بصورة فضحتني أمام نفسي.

رفعتَ عينيك نحوي وأنت تلبسني الخاتم ،

ونظرتَ إليّ بتلك الطريقة التي تجعلني أشعر أن العالم كله اختفى ولم يبقَ فيه سوانا.

وفي تلك اللحظة تحديًدًا...

فهمت شيئاً واحدًا فقط.

أنني،

مهما عشت بعدك من سنوات،

لن أنسى أبًدًا

كيف بدا قلبي أول مرة

أصبحتُ فيها لك.

نور

iLovePDF

"بعد ستة أشهر من الخطبة "

iLovePDF

القدس

إلى فارس،

لا أظن أنني سأكره يومًا في حياتي كما كرهتُ ذلك اليوم.

كان من المفترض أن يكون أحد أجمل أيامنا.

اليوم الذي سنصبح فيه، رسميًا، زوجًا وزوجة أمام الله والقانون والمدينة كلها.

استيقظتُ منذ الصباح وأنا أشعر بفرح مرتبك يشبه الخوف .

كنتُ أرتجف كلما تخيلتُ أنني بعد ساعات سأحمل اسمك، وأنك ستصبح بيتي الحقيقي الذي لا أخاف معه شيئاً .

ارتديتُ ثوبًا بسيطًا بلون أبيض هادئ، ووقفتُ طويلًا أمام المرآة أحاول تهدئة قلبي دون جدوى .

أما أمي، فكانت تنظر إليّ وتبتسم طوال الوقت وكأنها ترى طفلتها تكبر أمامها فجأة.

iLovePDF

وحين جئتَ لأخذي...

أقسم أنني نسيتُ كل شيء لحظة رأيتك.

كنتَ جميلًا بصورة موجعة.

ترتدي قميصًا أسود زاد من وسامتك، وشعرك مرتب بعناية لأول مرة منذ عرفتك تقريبًا، حتى إنني ضحكتُ فورًا حين رأيتك.

رفعتَ حاجبك باستغراب وسألتني:

"ما المضحك؟"

فقلتُ وأنا أحاول إخفاء خجلي :

"لا شيء... فقط يبدو أنك قررت أخيرًا أن تصبح إنسانًا أنيقاً ."

ضحكتَ وقتها تلك الضحكة التي أحبها، ثم اقتربتَ وهمست:

"قلتُ لكِ إنني شديد الجاذبية ."

أخفضتُ رأسي خجلًا، بينما كانت أمي تضحك علينا كأننا طفلَن .

ثم ذهبنا إلى المحكمة .

كانت يدي داخل يدك طوال الطريق، دافئة وآمنة، وكأن العالم كله لا يستطيع أن يؤذيني ما دمتُ أمشي إلى جانبك.

وفي المحكمة ...

جلسنا قرب بعضنا كأننا لا نصدق أن كل هذا يحدث فعلًا.

كنتَ تبتسم لي بين كل دقيقة وأخرى، بينما أحاول أن أبدو هادئة رغم أن قلبي كان يركض داخلي بجنون.

ثم جاء وقت التوقيع.

رأيتُ اسمك أمامي، ويدي ترتجف قليلًا وأنا أكتب اسمي قرب اسمك.

يا الله...

iLovePDF

كم يبدو اسمك جميلٌ حين يصبح ملَّصقًا لاسمي. ثم بصمنا الأوراق وأنت، فكنتَ تضحك كطفل حصل أخيرًا على لعبته المفضلة. خرجنا من المحكمة ونحن نضحك فعلاً.

كنتَ تمسك يدي بقوة وكأنك تخشى أن يأخذني أحد منك، بينما أنا أسير قربك وأشعر أن الدنيا كلها أخفّ من الهواء.

ثم...

توقف كل شيء فجأة سمعنا صوتاً خشنًا ينادي:

"أنت! قف مكانك".

التفتنا معًا .

كان شرطي يقف قرب الباب وينظر إليك بجدية غريبة.

اقترب منك وقال:

" اعطني بطاقتك الشخصية" .

استغربتَ قليلٌ، لكنك أعطيته إياها بهدوء، ثم قلتَ له:

"ماذا هناك؟"

أخذ البطاقة وضرب معلوماتك على الجهاز الذي معه .

ثوانٍ فقط مرت...

لكنني شعرتُ خلَّلها بخوفٍ غريب تسلل إلى قلبي دون سبب واضح. ثم تغيّرّ وجهه فجأة .

رفع عينيه نحوك وقال ببرود:

"أنت عليك خدمة عسكرية".

تجمدتُ مكاني.

أما أنت، فقلتَ بسرعة:

"لكن... زفافي بعد أيام".

iLovePDF

لم يهتم

ولم يبُدُ على وجهه أي رحمة. وخلَّل لحظات، جاء رجال آخرون.

اقتربوا منك بسرعة، وأحدهم أمسك بذراعك وكأنك مجرم لا رجل خرج لتوه من عقد قرانه.

صرختُ فورًا:

"إلى أين تأخذونه؟!"

لكن أحَدًا لم يجبني.

كنتَ تحاول تهدئتي رغم الصدمة التي ظهرت في عينيك أنت أيضًا .

كنتَ تقول لهم شيئاً، وتحاول أن تشرح، لكنهم لم يتركوا لك فرصة.

وعدتني بالعودة .... لنكمل العمر سوياً ثم نظرتَ إليّ.

ولن أنسى تلك النظرة ما حييت كانت مليئة بالعجز والخوف عليّ أكثر من خوفك على نفسك .

اقتربتُ منك بسرعة وأنا أبكي دون قدرة على التوقف، أمسكتُ يدك بقوة وكأنني أستطيع منعهم من أخذك لو تشبثت بك أكثر.

قلتُ لك بصوتٍ مكسور:

"فارس... لا تذهب ".

كلكنهم سحبوك مني بالقوة.

وبقيتُ واقفة في منتصف المحكمة، أراك تبتعد عني خطوة بعد خطوة، بينما الدنيا كلها تنهار فوق رأسي. كيف يمكن للحياة أن تكون قاسية إلى هذا الحد؟

قبل دقائق فقط كنتَ زوجي...

وفجأة أصبحتَ رجلًا يأخذونه إلى حربٍ لا أعرف إن كانت ستعيدك إليّ أم لا.

iLovePDF

جلستُ على الأرض بعدها وأنا أبكي بصورة لم أبكِ بها في حياتي. كل الناس حولي كانوا يتحدثون، يتحركون، يحاولون تهدئتي... لكنني لم أكن أسمع شيئاً.

كنتُ فقط أفكر بفكرة واحدة تقتلني:

كيف يمكن للعالم أن يأخذ عريسي مني...

قبل عرسنا بأيام ؟

نور

القدس

إلى فارس

مرّت أربعة أشهر.

أربعة أشهر كاملة منذ أخذوك مني أمام باب المحكمة، وما زلتُ حتى الآن لا أصدق أن ذلك حدث فعلاً.

أحياناً أستيقظ صباحًا وأظن أن كل ما جرى كان مجرد كابوس طويل، وأنك ستتصل بي بعد قليل لتقول إنك تنتظرني أسفل البيت كعادتك.

لكنني أفتح عيني...

فأجد غيابك جالسًا في الغرفة قبلي.

أربعة أشهر يا فارس...

ولا خبر واحد عنك.

لا رسالة.

iLovePDF

لا صوت .

لا أحد يعرف أين أنت.

ولا إن كنت بخير أصلًا.

في البداية، كنتُ أحاول التماسك.

كنتُ أقول لنفسي إنك قوي، وإنك ستعود سريعًا، وإن الله لا يمكن أن يأخذك مني بهذه القسوة بعد كل ما حدث بيننا.

لكن الأيام...

الأيام يا فارس كانت أثقل مما توقعت.

كل شيء أصبح يشبهك.

شوارع القدس القديمة التي كنا نتمشى فيها معًا أصبحت تؤلمني .

الحديقة الصغيرة التي أرجحتني فيها صرتُ أعبر قربها بسرعة لأنني لا أحتمل رؤية الأرجوحة فارغة .

حتى غزل البنات...

لم أعد أستطيع النظر إليه دون أن أبكي.

أمك أيضًا تغيرّت كثيرًا .

أصبحت أكبر سنًا خلَّل هذه الأشهر القليلة فقط.

أحياناً أزورها فأجدها جالسة قرب صورتك بصمت، تمرر يدها فوقها وكأنها تربّتّ عليك.

ثم ترفع رأسها وتسألني السؤال نفسه كل مرة:

“هل تعتقدين أنه بخير يا نور؟”

ولا أعرف ماذا أجيبها.

لأنني أنا نفسي لم أعد أعرف كيف يبدو “الخير” دونك أنت

أما يامن...

iLovePDF

فلم يعد يضحك كما كان .. حتى سخافته اختفت.

صار صامتاً أكثر، وكأنه يحاول أن يكون قويًا لأجل أمك، لكنه ينكسر مثلنا تمامًا حين لا يراه أحد .

وأنا ؟

أنا أصبحتُ شخصًا آخر تمامًا أذهب إلى عملي كآلة.

أبتسم للمرضى لأن هذا واجبي، وأساعد الناس، وأتصرف كأن الحياة ما تزال طبيعية...

لكنني من الداخل أشعر أن شيئاً أساسيًا فيّ اختفى منذ رحيلك.

في المساء تحديًدًا يصبح الأمر أصعب.

لأن المساء كان وقتك أنت.

وقت أحاديثنا الطويلة، وضحكاتنا، وخططنا الصغيرة للبيت الذي سنعيش فيه، وللستائر التي كنتَ تقول إنك ستترك اختيارها لي لأن ذوقك "كارثي" على حد تعبيرك.

أتذكر كل ذلك الآن فأضحك أحيانًا... ثم أبكي بعدها مباشرة

تعرف ما أكثر شيء يقتلني ؟

أنني أصبحت زوجتك رسميًا... لكنني لم أعش معك يومًا واحدًا كزوجة.

حتى خاتمي... ما زلت أرتديه كل يوم .

أقبّله أحيانًا كحمقاء وكأن شيئاً منك ما يزال عالقًا فيه .

وأحياناً أضع يدك المتخيلة فوق يدي قبل النوم، وأتظاهر أنك ما تزال هنا .

أقسم أنني بدأت أنسى شكل صوتك قليلًا... وهذه

الفكرة وحدها ترعبني أكثر من الحرب نفسها.

قبل يومين، فتحت خزانتي ووجدت سترتك التي أعطيتني إياه تحت المطر ما تزال رائحتك خفيفة فيه.

iLovePDF

جلستُ على الأرض وضممته إليّ وبكيت طويلاً...

طويلاً جدًا.

لأن الإنسان، حين يشتاق، يتعلق حتى بالأشياء الصغيرة التي تركها من يحب.

أتعلم ما الذي يؤلمني أيضًا ؟

أن الجميع يحاول مواساتي بالجملة نفسها:

"سيعود بإذن الله".

لكن أحدًا لا يعرف كيف يبدو الانتظار حين يكون قلبك كله عالقًا في مكان لا تستطيع الوصول إليه.

كل ليلة أدعو لك.

أدعو أن تكون دافئاً .

أن تكون حيًا ...

أن تكون قد أكلت جيِّدًا .

أن تنام دون خوف.

أن يعود وجهك إليّ كما تركته آخر مرة، لا مثقلًا بالحرب والدم والخذلان.

وأحياناً... أخاف .

أخاف بطريقة تجعلني أرتجف وحدي في الليل أخاف أن تعود شخصًا لا أعرفه.

أو ألا تعود أصلًا.

لكن رغم كل هذا الخوف... ما زلت أنتظرك .

كما تنتظر الأرض المطر بعد الجفاف الطويل.

لأنني، ببساطة يا فارس...

iLovePDF

منذ أحببتك، لم يعد قلبي يعرف طريقًا غيرك.

نور

القدس

إلى فارس

اليوم فقط... عاد قلبي لينبض من جديد.

بعد ستة أشهر كاملة من الغياب والخوف والانتظار، وصلني منك أخيرًا شيء يحمل روحك .

رسالة.

ورقة صغيرة فقط ...

لكنها كانت كافية لتعيد الحياة إلى فتاة كانت تموت ببطء كل يوم دونك.

كنتُ في المشفى حين وصلت.

يوم عادي جِدًا يشبه كل الأيام الباهتة التي عشتها منذ رحيلك.

iLovePDF

أرتدي معطفي الأبيض، أتنقل بين المرضى، أبتسم للناس بينما قلبي غائب عن كل شيء .

حتى نفسي لم أعد أشعر بها .

ثم جاءت إحدى الممرضات وهي تناديني من آخر الممر:

"نور... هناك رسالة لكِ."

في البداية لم أهتم. منذ غيابك، أصبحتُ أخاف الرسائل. كل شيء مفاجئ صار يرعبني.

لكنني أخذتها منها بلً اهتمام حقيقي، حتى وقعت عيناي على اسمك.

"فارس".

أقسم أن الدنيا كلها توقفت حولي.

يدي بدأت ترتجف فورًا، وأنفاسي اختنقت داخل صدري كأنني نسيت فجأة كيف أتنفس.

بقيتُ أحدق بالاسم طويلًً غير مصدقة.

كأنني أخشى أن يختفي لو رمشت .

ثم هربتُ إلى غرفة فارغة وأغلقت الباب خلفي بسرعة.

جلستُ على الأرض هناك...

ويدي ترتجفان وأنا أحاول فتح الرسالة.

حتى الدموع سبقتني قبل أن أقرأ حرفًا واحدًا.

وحين فتحتها أخيرًا...

ورأيت خطك...

انهرت.

كيف يمكن لخط إنسان فقط أن يجعل القلب يبكي بهذه الطريقة؟

كنتُ ألمس الكلمات بيدي كأنني ألمس وجهك.

iLovePDF

أقرأ الجملة الواحدة عشر مرات فقط لأنني لا أريد أن تنتهي الرسالة بسرعة.

كنتَ تقول إنك بخير.

أنك حي.

أنك تفكر بنا دائمًا .

أن الحرب قاسية لكنك تحاول التماسك.

وأنني يجب ألا أبكي كثيرًا لأنك ستعود.

"سأعود".

أقسم أنني حين قرأت هذه الجملة ضممت الرسالة إلى صدري وبكيت كطفلة صغيرة.

بكيتُ لأنني اشتقت إليك .

لأنني كنتُ خائفة جدًا.

لأنني، طوال الأشهر الماضية، كنتُ أعيش كل يوم وكأنني على حافة فقدانك للأبد.

لكن كلماتك...

أعادت إليّ شيئاً كنتُ أظنه مات داخلي.

الأمل .

عدتُ إلى البيت ذلك اليوم وأنا أبتسم لأول مرة منذ شهور.

حتى أمي انتبهت فورًا.

قالت لي وهي تنظر إلى وجهي بدهشة:

"وصل خبر عنه... أليس كذلك؟"

فضحكتُ وأنا أبكي في الوقت نفسه.

iLovePDF

ثم أعطيتها الرسالة.

قرأتها ببطء، وحين انتهت، قبّلت الورقة كما لو أنها قبّلتك أنت.

أما أمك...

فحين ذهبتُ إليها مساءً وأعطيتها الرسالة الثانية التي أرسلتها لها، بكت طويلًا وهي تضمها إلى صدرها.

كانت تردد فقط:

"الحمد لله... الحمد لله أنه حي ".

حتى يامن عاد يضحك قليلًا ذلك اليوم .

قال لي وهو يحاول إخفاء تأثره:

"أخبرتكِ أنه عنيد ولن يموت بسهولة."

فضربته على كتفه وأنا أضحك رغم دموعي.

لكن حين عدتُ إلى غرفتي ليلًا...

جلستُ وحدي وقرأت رسالتك من جديد.

ثم مرة أخرى .

ثم مرة أخرى .

حتى حفظتُ كل كلمة فيها.

تعرف ما أكثر شيء أوجعني؟ أنني

كنتُ أستطيع تخيلك وأنت تكتبها .

تخيلتُ يديك المتعبتين، وعينيك اللتين لا بد أن الحرب سرقت منهما شيئاً من الضوء، وتخيلتُ كم كنتَ مشتاقًا لنا وأنت تحاول أن تبدو قويًا داخل الكلمات.

أقسم لك يا فارس...

لو تعلم فقط ماذا فعلت رسالتك بي.

iLovePDF

لقد أعادتني إلى الحياة فعلاً.

ولأول مرة منذ ستة أشهر

... نمتُ دون أن أبكي.

نور

القدس

إلى فارس

اليوم حاولوا إقناعي أنك متّ.

وأقسم أنني شعرتُ وكأن العالم كله يقف ضدي دفعة واحدة.

منذ الصباح، كان هناك شيء ثقيل في الهواء.

المدينة صامتة أكثر من المعتاد، والوجوه ممتلئة بذلك الحزن الذي يسبق الأخبار السيئة.

كنتُ في المشفى حين بدأت الهمسات تنتشر بين الناس .

أسماء.

مناطق.

قصف.

iLovePDF

جنود لم ينجُ منهم أحد.

وفي البداية...

لم أفهم .

أو ربما لم أرد أن أفهم .

ثم رأيتُ يامن يدخل المشفى وكان وجهه وحده كافيًا ليكسر قلبي.

يا الله. ..

لم أرَه يومًا بذلك الشكل.

كان شاحبًا بصورة مخيفة، وعيناه حمراوين كأنهما لم تعرفا النوم منذ أيام

اقترب مني ببطء، وأنا بدأتُ أرتجف قبل أن ينطق حرفًا واحدًا.

سألته فورًا:

"ماذا حدث؟ "

لكنه لم يجب مباشرة.

فقط نظر إليّ طويلًا... ثم انهار .

رأيتُ دموعه للمرة الأولى منذ عرفته.

وقال بصوتٍ مكسور:

"المنطقة التي كان فيها فارس... دُمّرت بالكامل."

أقسم أنني لم أسمع ما قيل بعد ذلك كل شيء صار بعيدًا فجأة

الأصوات.

الناس.

المشفى .

حتى جسدي نفسه لم أعد أشعر به .

iLovePDF

كنتُ فقط أحدق بيامن وكأنني أنتظر منه أن يضحك ويقول إن الأمر مزحة سخيفة منه كعادته.

لكنه لم يفعل ثم بدأت الأخبار تنتشر بسرعة.

قالوا إن كل من كان هناك استشُهد.

كلهم .

دون استثناء.

وفجأة...

تحول بيتكم إلى بيت عزاء.

الناس يدخلون ويخرجون، والرجال يقرأون الفاتحة، والنساء يبكين، وصوت القرآن يملأ المكان بطريقة جعلتني أشعر أنني أختنق. أما أمك...

فكانت تبكي كأن قلبها ينُتزع من صدرها.

كنتُ أراها وأشعر أنني أموت معها.

لكنني...

لم أبكِ.

أو ربما كنتُ أبكي من الداخل بطريقة أكبر من الدموع نفسها كل من حولي كان يتحدث عنك بصيغة الماضي.

وأنا كنتُ أشعر بالغضب كلما سمعت ذلك.

كيف يمكنهم دفنك بالكلمات بهذه السهولة؟

كيف يقرر الناس موت إنسان فقط لأن الحرب صمتت حوله؟

جاءت النساء إليّ وهن يحملن ثوبًا أسود .

قلن لي بلطف:

"البسيه يا ابنتي" .

iLovePDF

نظرتُ إلى الثوب طويلاً ثم أبعدته عني .

قلتُ لهم بهدوء جعلهم يظنون أنني فقدت عقلي:

"لن ألبس الأسود".

حاولوا إقناعي قالوا إن هذا واجب الحداد.

إنك زوجي .

إن عليّ تقبلّ الأمر لكنهم لا يعرفون شيئاً.

لا يعرفون أنك وعدتني ووعدك عندي أقوى من الحرب والموت وكل أخبار العالم.

أنت قلتَ لي إنك ستعود.

وأنا... أنا صدقتك.

لهذا لم أسمح لهم بفتح عزاءٍ لك .

رفضتُ تمامًا.

حتى حين غضب البعض مني وقالوا إنني أعيش في الوهم، بقيتُ متمسكة بك كالغريقة التي ترفض ترك آخر نفس فيها.

في الليل، عدتُ إلى غرفتي وأغلقت الباب عليّ. أخرجتُ رسالتك الأخيرة.

وجلستُ أقرأها مرة أخرى.

"سأعود".

هذه الجملة وحدها كانت كافية لأتشبث بالحياة كلها.

هل تعرف ما أصعب شيء؟

أنني بدأتُ أرى الشفقة في عيون الناس كلما نظروا إليّ. كأنهم يقولون:

"المسكينة... لم تستوعب بعد".

لكنهم لا يفهمون. هناك شيء داخلي يخبرني أنك حي.

iLovePDF

ليس أملً فقط... بل يقين. أشعر بك أحيانًا بطريقة غريبة .

كأن قلبي ما يزال يسمع نبضك في مكان ما .

ولهذا... لن أودعك .

لن أبكيك كالميتين.

لن أرتدي السواد لأجلك .

لأنك، ببساطة يا فارس... لستَ ميتاً في قلبي .

وإن عاد العالم كله ضدي...

سأبقى أنتظرك.

نور

القدس

إلى فارس،

لم أكن أعلم أن الناس يمكن أن يؤذوا الإنسان بهذا القدر وهم يظنون أنهم يواسونه.

منذ انتشر الخبر، وبيتنُا لا يهدأ.

أصوات الأبواب لا تتوقف، ووجوه الناس تتبدل كل ساعة، والجميع يدخلون إليّ بالملّمح نفسها... حزن.

شفقة.

ونظرات تشبه الوداع.

وأنا أكره ذلك.

iLovePDF

أكره الطريقة التي ينظرون بها إليّ وكأنني أرملة شابة انتهت حياتها قبل أن تبدأ.

في اليوم الأول، حاولتُ التماسك.

جلستُ قرب أمي بصمت بينما النساء يحيطن بنا، يقرأن القرآن ويبكين، وكل واحدة منهن تحاول أن تمسك يدي وتقول كلمات حفظتها من كثرة ما سمعتها:

"الله يصبرك يا بنتي".

"كان شابًا طيباً ."

"الحمد لله على كل حال ".

لكنني كنت أشعر مع كل كلمة أن شيئاً داخلي يصرخ بعنف. لأنهم جميعًا يتحدثون عنك كأنك انتهيت.

كأنك مجرد ذكرى .

وأنت بالنسبة لي كنتَ حاضرًا أكثر من كل الموجودين حولي حتى رائحتك كانت ما تزال عالقة في كل شيء أخفيه تحت وسادتي.

كيف يمكن لإنسان بهذا الحضور أن يكون قد اختفى؟

في اليوم الثالث تقريبًا، جاء بعض أصدقائك .

كانوا رجالاً كبارًا، يحاولون الظهور بمظهر الأقوياء، لكن أعينهم كانت مكسورة .

جلسوا يتحدثون عنك طويلاً .

عن شجاعتك

عن طيبتك.

وعن الأيام التي قضيتها معهم .

ثم قال أحدهم جملة مزقتني:

"رحمه الله... كان يحبك كثيرًا."

iLovePDF

رفعتُ رأسي نحوه فورًا. وأقسم أنني شعرتُ بشيء يغلي داخلي.

قلتُ له مباشرة:

"لا تقل رحمه الله ".

نظر إليّ باستغراب، بينما أكملتُ بصوت مرتجف:

"فارس لم يمت ".

ساد الصمت في الغرفة كلها. حتى النساء توقفن عن البكاء للحظة. لكنني كنتُ قد وصلت إلى مرحلة لم أعد أحتمل فيها شفقة أحد.

وقفتُ فجأة وأنا أبكي وأصرخ دون وعي:

"فارس وعدني أنه سيعود!"

كانت دموعي تنزل بعنف وأنا أكررها كأنني أتشبث بالحياة نفسها:

"وعدني... وفارس لا يخلف وعده ".

حاولت بعض النساء تهدئتي، وأمسكت إحداهن كتفي وهي تقول بحزن:

"يا ابنتي... تقبلي الأمر".

فدفعتُ يدها عني فورًا.

قلتُ لها بصوتٍ مكسور وغاضب:

"أي أمر؟! أنتم لماذا مصرّون على دفنه وهو لم يعد بعد؟!"

ثم نظرتُ إلى الجميع حولي.

إلى الوجوه الممتلئة بالأسى، وإلى نظرات الشفقة التي خنقتني طوال الأيام الماضية.

وقلتُ لأول مرة بكل القوة التي بقيت داخلي:

"لن أسمح لأحد أن يعزيني فيه".

كنتُ أرتجف بالكامل. لكنني أكملت:

iLovePDF

“حين يعود فارس... ماذا سأقول له؟ أنني صدقت موته بهذه السهولة؟

” يا الله...

حتى أمك بكت أكثر حين سمعتني.

أما أنا، فكنت أشعر أنني أدافع عنك أمام العالم كله بعدها بدأتُ أكره التجمعات.

كلما جاء أحد ليواسيني، كنتُ أهرب إلى غرفتي.

لم أعد أحتمل كلمة “رحمه الله”

ولا كلمة “اصبري.”

ولا تلك النظرة التي يرمقونني بها كأنني امرأة فقدت مستقبلها كله دفعة واحدة .

لا أحد يفهم أنني لا أشعر أنك ميت أصلاً.

بل أشعر أنك ضائع فقط.

في مكان بعيد لا أستطيع الوصول إليه.

وفي الليل ...

حين يهدأ البيت أخيرًا ويرحل الجميع، أجلس وحدي قرب النافذة وأتخيلك.

أتخيل أنك ستعود فجأة وتطرق الباب وتضحك من كل هذا الجنون.

أحياناً أسمع خطوات في الخارج فأركض كالمجنونة نحو الباب.

وأحياناً أتوهم صوتك يناديني .

هل تعرف ما الشيء الوحيد الذي يبقيني صامدة؟

وعدك .

أنت قلت لي:

“سأعود”.

iLovePDF

ولهذا ...

حتى لو وقف العالم كله أمامي وقال إنك متّ،

سأبقى أنا المرأة الوحيدة التي تنتظرك حيًا .

نور

iLovePDF

كانت نور تكتبُ عند ضوءِ مصباحٍ خافتٍ في إحدى ليالي القدس الثقيلة، بينما الريحُ تعبرُ من شقوق النافذة كأنّها أنينُ مدينةٍ أتعبتها الحروب.

أمامها دفترٌ قديم، وحولها صمتٌ باردٌ يشبه المقابر، إلا من صوت قلمها المرتجف فوق الورق .

كتبت:

"يقولون إنّ الحربَ حين تمرّ، لا تسرق الرجال وحدهم، بل تسرق أعمار النساء اللواتي انتظرنهم أيضًا .

ويقولون إنّ فارس قد مات...

لكنّ قلبي، ومنذ أن سمعتُ الخبر، يقفُ في وجه العالم كلّه كطفلٍ عنيد، ويرفض التصديق.

كيف يموتُ رجلٌ وعدني بالبقاء ؟

كيف يرحلُ من كان صوته يطمئن روحي أكثر من الأوطان؟

لقد أرادوا أن يقيموا له عزاءً، لكنني رفضت.

رفضتُ السواد، ورفضتُ البكاء الذي يشبه الاعتراف، ورفضتُ أن أقول عنه: كان.

iLovePDF

لأنّ فارس ليس ماضيًا ... فارس

رجلٌ سيعود.

سيعود ليطرق بابي متعباً كما يفعل دائمًا، ويبتسم تلك الابتسامة التي كانت تطُفئ الحروب داخلي.

سيعود كي نتم العمر سويا ونتم زواجنا الذي لم يتم كما وعدني، ونعيش العمر الذي خبّأناه طويلًا في الدعاء ."

توقّف قلمها قليلًا.

iLovePDF

حدّقت نحو النافذة، فرأت القدس غارقةً في الليل، كمدينةٍ تصليّ سرًّا كي يبقى فيها ما يستحقّ النجاة .

ثمّ أكملت:

"أعرفه أكثر مما يعرفه العالم.

أعرف أنّ الموت لا يقدر على رجلٍ كان قلبه ممتلئاً بكل هذا الحب.

فارس لا يموت ...

لأنني"

وقبل أن تكمل الجملة، دوّى طرقٌ خافتٌ على الباب .

رفعت رأسها ببطء.

تجمّد القلم بين أصابعها.

لم تكن ترغب برؤية أحد.

منذ أسابيع والناس يدخلون بيتها حاملين نظرات الشفقة ذاتها، وكلمات العزاء ذاتها، كأنهّم يدفنون قلبها معهم في كل مرة.

أغلقت دفترها بتعب، ونهضت بخطواتٍ واهنة نحو الباب.

وحين فتحته...

توقّف الزمن.

لم يكن أحَدًا.

iLovePDF

كان فارس.

واقفًا أمامها كمعجزةٍ نجت من الموت بأعجوبة.

بعينيه البنيّتين اللتين حفظتهما أكثر من حفظها لاسمها، وبقامته الطويلة التي لطالما احتمت بها من قسوة العالم .

وجهه الحنطيّ كان شاحبًا ومتعبًا، لكنّ ملّمحه بقيت مغمورةً بذلك الحنان العجيب الذي لا يشبه إلا نفسه.

كانت ثيابه ممزّقة، مشقّقة كأنّ الحرب مرّت فوقها ألف مرة، وعلى أطرافها آثار ترابٍ ودمٍ جاف، بينما التعبُ ينهش جسده بصمت.

حدّقت فيه كأنهّا تخشى أن يختفي لو رمشت.

ثمّ ارتجفت شفتاها وهمست:

"قالوا لي إنكّ سافرت إلى السماء... لكنني لم أصدّقهم."

ابتسم بتعبٍ يشبه البكاء، وقال بصوتٍ مبحوح:

"وعدتكُ بالبقاء... فأنىّ لي الذهاب؟ "

شهقت روحها قبل جسدها، ثمّ ارتمت بين ذراعيه دفعةً واحدة، كغريقةٍ وجدت اليابسة أخيرًا .

ضمّها بقوّة، كأنّه يعانق عمره كلّه، بينما كانت تبكي فوق صدره بصمتٍ موجع .

همست وهي ترتجف:

"تأخرت كثيرًا ..."

أغمض عينيه، ودفن وجهه في شعرها قائلًا:

"كنتُ أقاتل الطريق إليكِ ."

أدخلته إلى البيت بيدين مرتجفتين، وما إن جلس حتى شعرت أنّ البيت عاد بيتاً من جديد.

أشعلت الضوء، وجلبت الماء والطعام بلهفة فتاة استعادت قلبها بعد دفنه

iLovePDF

حيًّا.

أما هو، فكان يراقبها بصمتٍ طويل، كأنّه يخشى أن تكون حلمًا ينتهي إن أطال النظر.

اقتربت منه وجثت أمامه بهدوء، ثمّ بدأت تنظّف آثار الدم والتراب عن يديه بحنانٍ مرتجف .

وكان طوال الوقت ينظر إليها... لا إلى الجرح.

كأنّه يحاول أن يشبع من ملّمحها بعد غيابٍ سرق منه العمر.

قال بصوتٍ خافت:

"اشتقتُ إليكِ بطريقةٍ كانت تؤلمني ."

رفعت عينيها نحوه، وفيهما دموعٌ لامعة:

"وأنا كنتُ أتنفسّك من الذكريات كي أبقى حيّة."

ابتسم رغم تعبه، فارتجف قلبها لذلك الانحناء الصغير عند طرف شفتيه... الانحناء الذي كانت تحبه أكثر مما ينبغي.

ناولته الطعام، لكنه لم يأخذ الملعقة منها.

بل أمسك يدها برفق، وقرّبها منه أكثر.

ثمّ همس:

"أطعِميني... أريد أن أشعر أنّني عدت فعلًا."

اختنقت أنفاسها من فرط الحب، وأخذت تطعمه بيديها ببطء، بينما عيناه لا تفارقان وجهها لحظة واحدة.

وفي كل مرة كانت أصابعها تقترب من شفتيه، كان يقبّل أطرافها بصمتٍ موجع .

وحين انتهى، بقي ممسكًا بيدها كأنّه يخشى أن تضيع منه مجددًا.

ثمّ رفع رأسه إليها ببطء .

وقال بصوتٍ غارقٍ بالعشق :

iLovePDF

"تعلمين ما الذي كان يخيفني في الحرب؟"

همست:

"الموت؟"

هزّ رأسه نافيًا .

"أن أموت... قبل أن أقبّلك مرةً أخرى."

وفي اللحظة التالية، جذبها إليه برفقٍ شديد، كأنهّا شيء مقدّس يخشى عليه من الانكسار.

ثمّ قبّلها.

قبلةً طويلة، دافئة، مرتجفة ...

قبلة رجلٍ عاد من الموت فقط ليضع قلبه أخيرًا بين يدي المرأة التي أحبّها . أغمضت نور عينيها وهي تبكي بين أنفاسه، بينما يده تستقر فوق وجنتها بحنانٍ أذاب كل الخوف الذي عاشته .

وحين ابتعد عنها قليلًً، أسند جبينه إلى جبينها وهمس:

"يا نور...

لو كتبوا عن الحب ألف كتاب، فلن يصفوا كيف نجوتُ فقط لأنكّ كنتِ تنتظرينني" .

ابتسمت وسط دموعها، فقبلّ جبينها هذه المرة ببطء، ثمّ ضمّها إلى صدره.

وخارج البيت، كانت القدس ما تزال مثقلةً بالحرب... لكنّ

نافذةً صغيرة في تلك الليلة، كانت مضاءة بالحب وحده

iLovePDF

iLovePDF

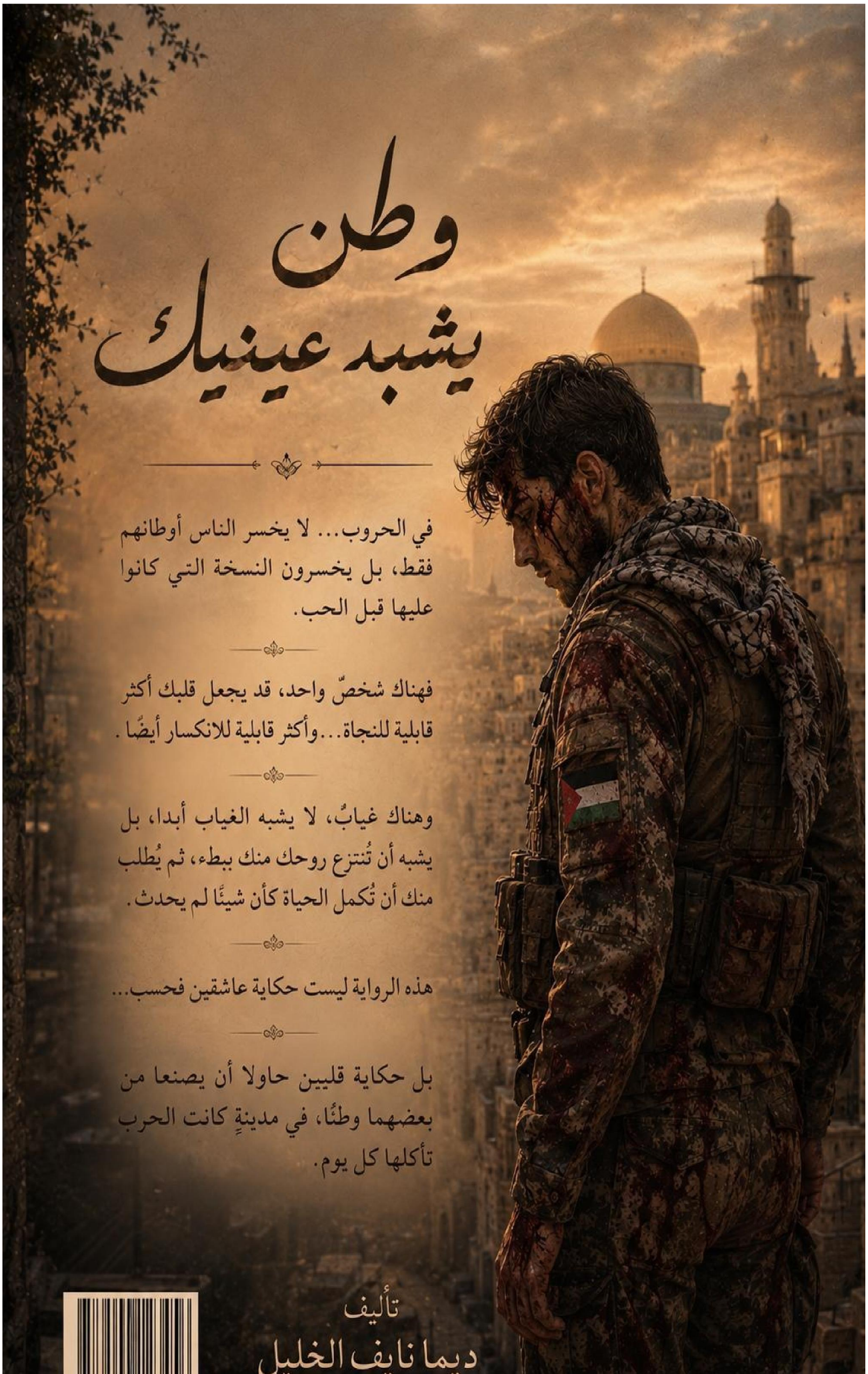
وطن
يشبه عينيك
في الحروب... لا يخسر الناس أوطانهم
فقط، بل يخسرون النسخة التي كانوا
عليها قبل الحب.
فهناك شخصٌ واحد، قد يجعل قلبك أكثر
قابلية للنجاة...وأكثر قابلية للانكسار أيضًا .
وهناك غيابٌ، لا يشبه الغياب أبدا، بل
يشبه أن تُنتزع روحك منك ببطء، ثم يُطلب
منك أن تُكمل الحياة كأن شيئًا لم يحدث.
هذه الرواية ليست حكاية عاشقين فحسب...
بل حكاية قلبين حاولا أن يصنعا من
بعضهما وطنًا، في مدينةٍ كانت الحرب
تأكلها كل يوم.
تأليف
ديما نايف الخليل